
حسن العاصي
نصوص نثرية
درب الأراجيح مغلق
شعر حسن العاصي

درب الأراجيح مغلق

نصوص نثرية شعرية

حسن العاصي

Den hængekøje trail er lukket

Prosa poetiske tekster

Hassan Assi

ISBN13: 978-87-972606-1-6

ISBN10: 87-972606-1-4

EAN: 9788797260616

Hassan Assi

Dansk bogfortegnelse

DBC A/S

Tempovej 7-11

2750 Ballerup

netpub@dbc.dk.

E-publikationer

Omslag:Canva Design

Udgivelsesdato: 2020

Forlag: Hassan Assi

Originalsprog: Arabisk

Udgave: 1

Sidetal: 194

درب الأراجيح مغلق

نصوص نثرية شعرية

حسن العاصي

إ هد ا ء

من وهبَ الفصول ولادتها؟

ومن أوقع في اللحد شهقة الاندفاق؟

هنا صرير قلبي فوق التنور يفور

فمن يقبض على يقظتي قبل السقوط الأخير؟

إليهما وهما ينتظران.. أدنو

محمد وحسين العاصي

تحرسكما نمنمات النور الراقد في جوف الريح

حسن

تقديم

حسن العاصي... شاعر يربّي عشق الانتماء بروح مغتربة

بعد دواوين "ثرثرة في كانون" و"أطياف تراوغ الظمأ" و"خلف البياض" و"امرأة من زعفران"، وعلى امتداد خارطة إبداعية لافتة، وبحسب المستشفّ من مجمل منجزه الشعري الجديد بالغوص فيما ورائيات اللون، وسراديب الحكي المكتظة بالبياضات المثرثرة بوجعنا العروبي، ما ينفكّ الشاعر الفلسطيني المغترب حسن العاصي يسلك دروب الإخلاص للغصن الأول، بما الكلمة أشبه بانتحار إبداعيّ لاذع، وجَلد ذاتيّ مفخّخ لملف العروبة وشتى خيوط انجذابها لأزمتها الهوياتية. دوماً هنالك في كتاباته بسط لهيمنة أصوات الدفين والغائر في الذات، من حيث النزوع إلى بلورة نيوكلاسيكية ترتقي بشعرية القصيدة، وتوجّه خطاب تلافيف القابع في اللاوعي، تستقطبه إلى انصهار كريستالي في شتّى ما يترجم ثقل وتوهّج الإحساس بالانتماء إلى حقل إنساني لامّ ميسمه اللامحدود واللانهائي في تجربة تجاذب الأضداد.

جرعة ألم زائدة، ما تنفكّ تخيم على أفق الرؤى المؤثثة لعوالم المعمارية الشعرية لدى صاحبنا، وتوقظ المسكون بنُثار الذاكرة، داخل حدود توليفة تعبيرية مكمنها البوح القاهر والمتسربل بنفس ملحمي خفيض ومناوش بخلطة أيديولوجية جمالية يطبعها

اختمار روحي طيفي صاقل لمرايا الماهية الموجوعة والمطعونة في قضايا المساس بقدسية البعد الهوياتي في لبوسه العروبي، حدّ اختزال القصيدة وسكبها فيه.

يشتقّ حسن العاصي معجمه الشعري، من تيارات حياتية تتقاذفها هواجس اغتراب روحي مزدوج، وتجليات ضاغطة مثلما تجرد صوغها ذاكرة المنبت، وتهمس بها الحالة النشاز في انشدادها وفلكلورية حلزونيتها والتفافها بالجذر.

لذلك، طالما شكّلت وعي شاعرنا، خيوط العنفوان في ميزان القضية الفلسطينية المسطورة أو المنقوشة في بكارة البياض، تبعاً لأحرف مدادها نفحات روح مغترب يجدّف مزداناً بفروسية العاشق الغاضب الأولى بقلبه الدامي أن يخفق شعراً مشبعاً بلغة الانكسار، نكاية في حثالة من زلزلوا مضارب ليلى تحت قدميه، بما المعضلة والاستشكال اغتصاب لملامح وطن عصي نابض ورافل في أريحية عروبته المكابرة، فطوبى لنظير كهذا مجنون ملء القصيدة وحقيبة اسمها القلب يتنفّس أقصى الدرجات وأنأى الأنجم تعشّق ليلاه المكناة فلسطين.

في كتابة تستوقد بالماء، تهشّ بزئبيقة المعنى الوالج في دوامة المائيات، والذات اكتواء وملحمة طافحة بذبول الراهن وتحجّر الآني، تنهش لُحمة الأنساق، ضاربة لنا الموعد المخملي مع حكاية الالتزام بالدورة الكاملة في المقامرات الكلامية المشحونة بهديل الهامشي والمعطّل والمهجور، من خلالها تتأمّم أو تحاول ذلك، ذات الانشطار والهذيانات المحمولة على تيميتين لا ثالثة لهما، الهوية والاغتراب، وكأنما تتوسل على عجل وخارج قيود الزمن ووفق استثمار جشع لمخزون الذاكرة، وتنشد علياء

كأس الاحتواء، تماما وعلى مقاس مرثاة الأمة المشروخة والمهدّدة في مزيد من ثوابتها ودعاماتها، بما السيناريوات حياكة خسيسة بتواطؤ يدشنه تمازج أيادي الخونة والغرباء، مطيح ولا شك بالمتبقيّ، ومحيل على دنو تآكلات وأعراض جانية تنذر بخراب وحطام شاهد على فصول المحذوف من حكاية انكسار وانحسار في ليلته بداية لياليه الكالحة والمغرقة في سوداوية جحيمية، تحصد دونما هوادة، بؤر الغضّ والنضر والمزهر في إنسانيتنا المهدورة أصلاً:

يفر الجرذ الدّموي

إلى ركام الخشب والتراب

اخرجوا من سكر الليلة الأولى

ونبل العائلة

في هذا الحطام

من يملك قطرة

من يطفئ لهب الجثة

من منكم حدّق في التكوين مرّة

من يقبض على جمرة

من يمسك إبليس العاري

في كلّ العواصم

من منكم يستطيع الفرح

في زمن الكستناء

ثم في مكان آخر يقول الشاعر:

الوجع الضاري ينبت شوكاً

على أطراف كل لحظة

قصائد تسري كأنها تدفّق معسول الأنهار الأخرى، التي هي وقف قاموس ضاربة بحفنة من ورد على خدّ مثالي يحاكي خدّ ليلانا جميعاً، ونحن نتلمّظ من جهة العطشى للبرود من نبع القصيد وسلسبيله، ثمالة أمجادنا المتراقصة أو المحجوبة والمعطّلة عنّا فيها وهي المعشوقة النموذجية على مرّ السنين وتعاقب الأجيال، والتي ما تلبث تهزمنا غضاضة ومرارة الذبيح والمغتصب عبرها فينا دونما مواربة، وهل ليلانا إلّا عروس المستحمّات وملاكهن، السّليبة فلسطين؟

تنهمر أسئلة الذات، مخلخلة واقع القضية، وناكئة للجراحات الأبلغ غطساً في أخطاء التاريخ.

وهو ديدن دأب عليه العاصي في بلورة رؤاه ونسج مواقفه المسبوكة بنورانية الخلفية، والدفع بها إلى دوائر تضيق أكثر فأكثر مع التبخّر الروحي المنساق وشعرية توبيخ العالم، اتكاء على زحزحة نظرة لم تعد قادرة على المواكبة، آثرت أن تمكث في ثوبها القشيب فيما يخص حياة النضال بالكلمة والقول الشعري الذي يتغيّا قلب المنظومة المفاهيمية المحكومة بثالوث الأنوية والغيرية والكونية.

لوحات تراوح ما بين صفحات الإشراق والذبول، الحضور والغياب، مساهمة في تلقين الخطاب الإنساني الراقي المنصف للذات في ضوء ما يتفشى من وإلى جوانيتها الرّازحة تحت نير تقاطعات هوياتية ـ اغترابية، تمنح للشعر هشاشة إضافية، لا بل تضعه فوق الحياة كدالّ على جنون إدمان الحرف بعدّه السلاح الشرعي المتاح كضرب من تكريس لثقافة لملمة المفقود وتقمّص روح المشترك وتتحسّس ريح الخلاص، وترع حيّز الحكاية المنسية وملء غاية مقدّسة يلوّن متاهاتها حضور فلسطين:

النوافذ ملّت لعبة التوقع

ستكون الرحلة طويلة

فلا داعٍ للعجلة

ستحصد حزنك

حين يصرخ عصفور الوقت

وفي مقطع آخر:

هناك

تماماً هناك

خلف ستارة الجنون

جهة أقصى المتاهة

تمور شرفات الانتظار

تتدلّى منها

وجوه الراحلين

إذاً، نحن إزاء كتابة جاذبة وراشقة بطقوسيات إعادة ترتيب الأوراق فيما يرتبط بإقامة مصالحة حقيقية تنطلق من الذات كي تشمل سائر ما حولها، على احتكاك مع أفلاك الشاعرية المدغدغة بصفاء المعجم ودفق الرؤى المشكّكة.

نصوص ترفل في الاستعارة الكلية، وتدبّج فسيفساء النعوت بتوحّد أغراضها، وانصهار بعدها الرسالي في بوتقة استنطاقات مفاهيمية تعنى بالانتماء.

توليفة كأنما تعزف على أوتار القلب، تعقد لها الذات بعضاً من قران طوباوي هامس، تختمر عبره تجربة الاغتراب ومفردات الهوية، وفقاً لسريان تيارات خطابية حماسية

متصادية ودوائر اغتراف القصيدة رعشة العذرية من تلاوين استحواذ المكوّن البصري على باقي الميكانيزمات التعبيرية والدلالية الأخرى.

أحمد الشيخاوي

شاعر وناقد مغربيّ

يتواطأ غيمكَ وكدري

هكذا انتهى سخاء الماء

دخل البحر إلى الكهف آمناً

والدروب انتعلت أقدام الراحلين

منذ كان حقلاً يرقب السحاب الهزيل

كلما خرج الملح من الرمل

كنتُ شجرة كسيحة مسفوحةً

عارية الجذر

لهذا كبرتُ في درب الفراشات

ونَمَتْ قربي الحكايات في الأغصان الضيقة

لأن النهر البعيد ابتلع وجه الغيم

لم يكن بيدي بعض أمري

قالوا ارفعْ هذا السديم المندفق

اعبرْ قاع البحر

واقرأْ ما تيسّر لخمس غيوم

يخرج لك من فيض الكتاب

موسماً يتدانى لا ينتهي لا يموت

تعثرتْ أصابعي بأجفاني لذا

رحلتُ بالوقت الهادر

هجرتكَ مُرتشفاً اليباب

حيث لا جدران لا سدود لنهر الجنون

كيف الحال يا والدي؟

هل اعتدت الموت أم تحيطكَ الأبواب؟

أما زلت تبسط جناحك كلما همدَ العشب

فوق أرق الحجارة؟

وكيف تقتات وحدتك يا أبي كل عتمة

حين تغادركَ الطيور العابرة؟

ولمن تُطعم قلبك الآن؟

أتذكّر حين كنتُ أنا صغيراً

مثل مهر بريّ أعدو

وأنتَ تصيحُ وتقيّد المروج

لكنني لا أترجل عن زمام الحلم

تحاصرني بالسوط حيناً

وإغلاق العشب أحياناً

وأنا أعاند جواد حكمتكَ أشاكس الساقية

لا يلجم عجيج دهشتي سيل الحَنقَ

كثيراً ما يقولون

للنهر الصغير صوت الحملان ولون العصافير

وكثيراً كثيراً ما كان يمتد غصني ريحاً حانية

تلامس ضفة الصبح السحيق

وأنتَ كما أنتَ منجل لطيش الصغار

كيف حالكً يا أبي

أظنكَ الآن في مجلسكَ يصغي أصحابكَ

تسرد أنتَ أسرار الأسفار ونشوة الموت

تضحك وتسوّي نظارتك

يقولون قلوب الأصفياء تظل تخفق بعد الموت

حيث لا فرار من المرايا النضرة

جزيلاً انتظرتكَ ربما دهراً لألقاك عابراً

غزير هذا الرمس وحزين

كما الأنهار تعوم وتطفو

كلما اكتظ السحاب بأطياف العابرين

يملؤني وجهكَ يلامس تعبي

يتواطأ غيمكَ وكدري نبت من علقم

يا أبي

كشجر كسيحة مسفوحة عارية الجذر

أموت عابراً كل يوم درب الليمون

وراء كل باب أخالكَ

أذرع سواد العمر

أفرّ منكَ وأنت الطريق

أطوي مسافة الصِبا

وأجدكَ خلفي تسير

أي نهر يفضي شجره إلى هذا الاختلال؟

قد أسرفتَ في سخطكَ مرة

حين كان فرسي دونما ساق

ومرة في هجركَ أوغلتَ

لم أجدكَ مرة بجهش الشدة

ولا في الفصول المقيّدة

لكن برحيلكَ مكث الضباب على عيون الضحى

يدفعني الخواء لتخوم التشظي

هاكَ لوني وكفّي وصوتي

ومسافة الحياة

شيّد بجوارك لي بيتاً بلا جدران

حين ينغلق الماء فوق قيظي

وتهطل التفاصيل الضريرة

آتيك ممتطياً حصاناً خشبياً

مقيماً لا عابراً

ساكناً لا ثائراً

كي يأنس قلبي من التعب.

موسم خارج الشجر

حين كان والدي شيخاً قوياً

لم أكن أعلم في فيض هبوب المطر

يذروني الفقد كالقفار

بلا ماء ولا كلأ ولا جدار

أن ساقيتي مبتورة

بقلبٍ يرقب مواسم الجفاف

وأنني كنت معلقاً من ساقي المجنونة

على درب السفر

ليس لي سوى حذاء كسيح

وفراشة ترابط قرب هامة الضوء

كنت أغفو مثل قط القرية

خلف قرميد الطاحون

حين تعلمتُ الخطو

انتصبتُ على ضفة النهر

كبتلة رمّان

تتعثّر بي فوانيس البيت

لتنجو من هلاك

تتآمر حماقتي ومكر الأشقاء

يكون نصيبي منها خيبات

تنبت صباراً فوق وسادتي

ويصبح خدي لوح تعليم

لسادة القوم

أجنحتي لم تألف ريش الأتقياء

فصرت ضالاً صغيراً منحرفاً

يستحق الجَلْد لمعصيته

لم أكن وجه والدي

فنصب لي كتاباً مقفلاً

أقرأُ فيه معلّقة الطاعة

صرتُ ألام كلما عانق

جسدي الطري السوط

ويكشف صراخي عورة القبيلة

تصبح المسافة بين الوجع والضلوع

طحالباً سوداء وأنفاً عنيداً

كنت أداوي بالأحلام ضعفي

في الغابة الكئيبة

أُطعم اصابعي لعصافير السرو

أبحث عن وعد مغلق

كنت بسيطاً مثل الأطفال

وحزيناً مثل نوافذ الانتظار

أقام أبي الحدَّ عليَّ دهراً

لا أجنحتي أطلقتني

ولا دموعي طهرتني

لم أجد رملي

في لون البستان ولكن

صادفني الشجن منكفئ على وجهه

حثَّ بي الخطى نحو ظمأ المروج

فما سر هذه العتمة الصغرى

ومن أين يأتي كل هذا اليباس؟

كنت مع والدي غريباً كسيحاً

في هذا الصقيع المتورّم

بقيت هنا غريباً إلا من بياض بليد

موسوماً على عزلة الحياة

تتسطّح الصور يا أبي

في المسافة بين عينيك واحتراقي

حتى يصبح الدرب رمادي البصر

لذلك هذا الحزن باقٍ

أعلّل الحزن بالحزن

ولا يترجّل قلبي

أنام ويظل مستيقظاً

ينادي في غفلة الأحلام

لا تلمني يا أبي

إذا ما ضاق غيمي

وتعثّر حقلي

أنا المنهك حد الخدر

أرنو إلى هامتك طفلاً

يحرس حلقات الضوء

أبصرُ خطّ النعش

وتعب العابرون

ولا أرى قبراً

يا أبي

من أين يبزغ الأرق؟

ولماذا تنتفض شروخ قلبي؟

وفي كل صدعٍ موطئاً لريح سوداء

هذا طيفكَ موشوم على ظلّي

يستمطر نحري متوثباً

حيث طفولتي المربكة تغتسل بالحمم

ضرير يا ربّي هذا الغيم

الرمل يطوف فيه والماء يغرق

والأحلام الصغيرة صارت

أفاعٍ بأجنحة يتعثّر الدرب بها

ما زلت أراكَ أبي في بقايا الأمس

حبلاً فاغراً حرابه يتأرجح

في كل ليلة تأتي في عتمة الوقت

تُطلق عصافير بحركَ

كيف لي أنا المنكسر بلا شاطئ

فارغاً كالعدم

أن أهدهد موجك الصاخب

لأنعتق من الخطايا

مثل نخيل الواحات

هكذا ذات عجاف

أغلق الشجر طيور التراب

وتعب البستان من عشبه

في حلكة العصف

رحل والدي إلى رقود طويل

لا زلت عند ازدحام الخطى قرب القبور

يخالط دمعي تراب المسافة

بين حنظل ضلوعي

وذاك الأفق المتدلي في الخلد

مثل قطوف لا تنتهي

أكرهكَ كنتُ وأحبكَ الآن

وأعلم أنني واهن

وأن ليلي يختنق بقطرات تتدحرج

وغمّي لا يمضي

صرت أبكيك مرتين

ولا زال

صباح وجهك يُبدي الاحتضار

لم يبقى يا أبي من الوقت

سوى موسم خارج الشجر

تتدلّى خطاه نحو كوة النور

كريحٍ حزينةٍ

بينها وبين سور المقبرة

موعد أغلق زمنه وظل ينتظر.

كي نبرأ من اليباس

لم يعد قلبي كما كان

تعثّرت طيوري في درب الريح

تاهت ناصيتي وأصبحتُ يتيماً

ونهري أضحى عارياً

صار لي عصفورين في غابة الغرباء

كانا مثل رحيق البسمة

بلسماً لكل داء

كأنهما ساقيات الكروم

يبحثان عن العناقيد العابرة

أصبحا حزن يجثم فوق غصن الوريد

بعيد كلاهما

مثل أرجوحة غادرت ساحة العيد

وأنا في هذا الدمس الشديد

تذبل داليتي وعيناي تشتهي الجنون

وعصافير لا ترحل

نصفي ضاع هناك قرب السور

على أطراف الحجارة

حيث الشقيقات المكلومات

يزاحمن دمعي على القبور

وعاد نصفي مسافة شاحبة

كمد يطوي خطاي

وصور تفصد وريد الحياة

لا قرار لهذا الشقاء

غزير بالحزن والانكسار

من يمتلك سر هذا الرماد؟

ومن للحجر البارد يفسر زخّات التراب؟

وحدها الغَرَبة هنا ضالعة في نحري

تكتظ بالوجوه المتوقّدة في سكينتها

قد أعيا الرحيل جهاتي يا ربي

وضاق بي دربي

تراني أقبض بالبصيص الباقي

كي ينام الوقت قليلاً أو لا يستيقظ

لأنني كثيراً كثيراً أخاف

في عتمة العمر

ازدحام الغصن بالعصافير

وأخشى سقوط هامة الطريق

لعل حين يشدّني البياض ويأتي موتي

يغفو نصفي في كف أبي

ونصفي قرب أضلاع الشقيق يرقد

أقصص حزني ووحشة ثوبي

أقتسم معهما رحلتي بما أنبتت

إذ يبتلع البحر الغابة

حيث لا فراق ولا جدران

ولا طيوراً تنقسم أجنحتها

هنا أقبع وحيداً مثل نعش يخشى بياضه

يتدحرج تيهي مرتبكاً فوق الصناديق

مثل ندف الحزن يتدفق

لا ينفع فيه سبات ولا جنون

أوشك تعبي أن يصل

تعالوا نتوغل في المقبرة

كي نبرأ من اليباس

أبداً لم أكنْ أحدثكم هنا عن الموت

ولا عن وجع الفراق

هنا كنتُ أحدثكم عن أبي وأخي.

يعانق الثوب مني الحجارة

لمْ أكنْ تقياً كما ينبغي لابن الشيخ

ألف صلاة ويزيد

ما كنتُ ناسكاً يشبه الإمام

يحمل طقوس المغفرة

ولا ورعاً مثل حفّار القبور

لستُ عاقلاً ولا مجنوناً

بل أنتفض في غباري

وحيداً كسوْسنة زرقاء

يوماً لمْ أمتلك أمري

كان لي بساط وعصفور

في نهري تطير الأسماك

وغابتي تلد خيولاً برأسين

شرنقة تربك وجه الشجر

ومقبرتي مرايا تتناسل

لكنّني لست ساحراً ولا مسحور

في مواكب الغيث والضيم

تفر الصناديق الخشبية نحو الجبال

خشية درب المقبرة

إن زحف الموتى نحو ضفة السّواد

معهم يسير بساطي وقلبي يمور

إن انقسم ظهر العربة

انفلت القماش البارد من سوارهِ

وفاض التراب على الأسماء

تفقأ العقارب ثدي المجرة

ويموت عصفوري مع الطيور

ليسَ سواي في جنون المسافة

عارياً من خطاي حافي الشراع

أولِ دربي شطر يقظة وأوراق مطر

لا شيء في احتشاد الثاني سوى

ثلاث هزيلات الصرير وتسع بحور

من الفصول أشتهي بساتين التين كثيراً

وجداً جداً أحبُّ عصافير الصباح

منذ أسقتْ الرّيح الجراد للعشب المحموم

لم يعد في الكروم المرتبكة ماء

جفَّ فم الشمس وشاخت الزهور

يوماً لم أكنْ زاهداً مثل بدويّ

لكنْ كانَ كفّي مائدة للجياع

وقلبي مدفأة للحفاة

غيمة مطر كنتُ للعابرين ولكل من

تسربله الخطى درباً مشطور

كنت خلف رداء الوقت أروي باكورة الحصاد

لم تمسّني يدٌ زرقاء منذ كنت صبياً

تحرسني سواعد متضرعة

يا مسك الأولياء أيّ سر فيك وكيف عبرت

حين خرج البر من البحور

خلف الضجيج الرّاقد في جوف الوحشة

أمضي نحو بساتين الله

حيث رياض النعيم أشجار العصافير

حيث تهب المنازل بساطي مسكنه

لا سواه في سلال الخطايا غفور

وصل التراب نهايته وانتهى النهار

يغادر الشجر الغابات الهرمة

يأوي الماء إلى صخره والعصفور إلى طينه

ويغفو الطريق ليستريح

ويتهيّأ المسافرون للعبور

في رحلتي إليكَ يشدني بياض الطريق

يعانق الثوب مني الحجارة

لم يكن حصاراً ولا غباراً يتشظّى

كان وعداً للصالحين والأولياء

قالوا هذا أجر الله للمأجور.

ما زلت في جنون العرائش صغيراً

تحت ثوبها

تخفي أمّي كيساً صغيراً من القماش

يتدلّى من عنقها

تحبس داخله أزهاراً جافة وأدعية

فيه يختلط الغار بالتسابيح والأذكار

طُهر الماء وعبق المسك تدلان عليها

يزهر الثوب في النهار صلاة للمواسم

عشق بلا مدى

ويصبح معجماً للأولياء ليلاً

تفوح منه شفاعة مستترة

وينبت على أطرافه ورد الأنبياء

هذا أعمق سرّ لا يعرفه أحد

تقول: في الكيس مئذنة ومزمار حزين

وفي قلبي أبواب المطر تحرسها الطيور

فوق أكتافها ننمو وتمتد أطرافنا

مثل الغراس بأصائص الصباح أو أبعد

وحده الريحان يتنزّه بالطفولة

تفرش أمي أضلاع صدرها مرجاً كيْ نلهو

نقفز صغاراً فوق أديم الضوء المتوثّب

نصرخ فتهرع ومعها يجري بيت الله

كُنّا كما أذكر أسفاري في بيت بلا جدران

تعلو فيه أشجار الرمّان فوق بساط العنبر

والعرائش تحرس حلقات النور

حين تُراقص النسمات عنق النرجس

أتذكر كثيراً فراشات الخمائل تحاصر النهر

كأنّ البستان الصاخب أثمله لون الماء

وكثيراً كثيراً ما كان قلبي يغفو فوق نجمة المطر

حين يبدأ موسم الحكايات زخّات قناديل

تجلس أمي مثل قدّيس قرب دائرة الضنك

تكابد رماح الوهن

أحياناً معنا تتقاسم الضحك كأنّما

يفرّ إيقاع العقارب الرملية

في غفلة من وتر الوقت

في كل ليلة

تعدّ لنا ما استطاعت من أحلام

تمسح أجفاننا بكيسها القماشي وتقول

ناموا آمنين

يمدّ مزمارها فِراشه على أرق التراب

وتأنس الأجساد الطرية تعبها

نغفوا مثل الحملان فوق عشب أدعيتها

وينمو من حطب أحزانها في قلوبنا

ورداً قزحياً يخفق فرحاً

نحلّق مثل عصافير الله لنرحل

صوب أهداب الفجر

حينها كنتُ أصافح خدّ الشمس جداً

وجداً جداً كنتُ أحبّ مشاكسة شعاع الماء

أخفي رأسه في سلّة النهر

وأطلقه حين يحتدم الفَراش

أمي التي تخفي تحت ثوبها كيساً قماشياً

ننام وترفع كفيها للسماء تقول:

يا رب الرّيح التائهة والخيول الساجدة

إن لي طيوراً لا ريش لها

وأرقي بازغٌ من سديم الأفق

هُم بعض بحري وبكائي

إنني أودعتهم رياضك

فلا تمتحنهم على ما لا يطيرون

هبهم يا ربي أجنحة الإيمان

في سهوة القماش اشتد ريش الطيور

أمي ما زالت تخفي كيسها تحت ثوبها

وفيه الأدعية والأعشاب

ما زالتْ كل ليلة تجثو قرب الأعشاش الفارغة

تبكي كيسها وتلقي دمعها جهات تغسل الذنوب

وأنا ضالع في المقام الماطر لا كف لي

كنت في سيل الشجر قد

أطعمت أصابعي للطيور الكسيحة

صار بيني وبين السرب لازمة

يغصّ بي من شعاعين مزمار ومئذنة

وكلّما عبرت درب الغابة غريباً

تصبح بيوت القشّ أكياساً

والأوراق الذابلة أذكاراً

رغم أنني أنام كل ليلة في الجامع القريب

تراني أبحث في عمق المروج عن سرير قماشي

ووسادة من العشب

ما زلت في جنون العرائش صغيراً

ولا زال ينبت ريش قلبي كلّما هطل المطر

أو جاءت العصافير.

لشوكها المتهدّل شُرفة

في ملتقيات والدي

حيث حكايات المواسم المرتبكة

والنوافذ أضحت لاهوتاً مرتعشاً

ينام الوقت فاتحاً ذراعيه للمتسامرين

وتختبئ خيبات الأسماء في ملامح الغيبوبة

هناك لا بحر دون فراق

ولا جدار دون غياب

يزفّ الرحيل حقائب الغربة هناكَ

فوق ألواح السواد الباتر

كأنها أطيافاً تغفوا على الرصيف

ضيوف أبي خارج المدينة منهكين

يحملون على ظهورهم جرّة احتضارهم

كأن الحياة رمقتهم ترياق الطريق

يذبلون قبل اختفاء الليل

يرفعون رؤوسهم كلّما عبرتهم كؤوس الشاي

يعدّل والدي الوسادة أسفل مرفقه

يرمي لفائف التبغ للحاضرين

يُشعل سيجارته من وقد الرّيح

يقول: ثوبنا يلفظ دربه

يتضرّع البقية إلى الله بصوت واحد

وترتفع سبّاباتهم للأعلى كأنّهم

يغادرون عتمة العمر

لا قاع لهذا السفر

هكذا الحديث يمتد به الشجن

يقول أحدهم: الأرض تحب الصلاة

بالأمس شاهدت في ثوب المطر

رأس النهر يجري

يردّ والدي: غزير هذا الخريف

يقطف سرير الزهر من فاكهة الجسد

تناولوا زادكم وتعالوا غداً

خلفنا ثمر الشتاء

تراهم قامات تومض وتنكسر

وكلّما تأرجحت الأجفان

يغفون برهة ويَصْحون

يعودون للحياة

تظلّ القصص مثل الشواطئ

تخمد نوارسها تارة

وتارة تتوهّج في بحورها

وأنا أستمع لذاك الصرير القزحي

أصدّ جراد النوم

وأختلس سريراً بين الأقدام في كل مرة

كنتُ هناكَ في الكوّة المجدولة

أبحثُ في صوت العيون الرّاكدة

عن عصافير لا ترحل

وألتقط من رماد الوقت بلابل النهار

هناكَ كنتُ أرقدُ فوق الظلال الجافة

وأحلامي الصغيرة حبلى

تنتظر استيقاظ المطر

في ملتقيات أبي

يجثم الدهر فوق الوجوه خطىً ممطرة

ينحني الصبح لكف تشقّقت بما أنبتت

تنمو وردة الخبّيزة من الركام

يولد من عشبها بعد الفجر قديساً

لضيوف أبي أجنحة تتلوى

حين يراودها قنديل الفصول

لتلك المجالس خفقات كأنها العوسج

ولشوكها المتهدّل شُرفة تتكئ على قلبي

باتت أضلاعي تعاصفني كالماء الصاخب

وتدفقني تجاعيداً على مرآة بكماء

لم أعد أذكر

هل عبروا حزن المدينة مرة

أم أوجعهم قماش الثوب سهواً

لكن من يمحو إذا زحفوا

أخاديد الحكايات عن ملامحي

وإن شدّهم البياض

من يغفر للعربة ازدحام الصناديق؟

وتكابدكَ سُرّة الغيم

كلّما عبرت درب المقبرة

يومض الاقحوان حد المطر

يذرف الرخام البارد ورد الرمّان

وتتهدل أغصان الصفصاف من السور

كأنَّ الفوانيس تتدلّى من السحاب

لم أفهم سر ذاك الرذاذ

لكن وجدي يفوح على الظلال

كأنني أحتسي حامض قلبي

وأنتَ هناكَ تغفو وحيداً

مسكون بنزع العتمة

لا تقصص صرير حزني

على الجدران العطشى

قد تعودتُ اقتسام وريدي لكنني

أخشى عليكَ يا أخي وأنتَ في ضريحكَ

أن يفيض عبير الساقية

ويشتد هطول العشب

وأعلم أنكَ تكابد الحساسية

2

في فراغ الأماكن

المقاعد أيضاً تضجرُ

أغيّر جهتها من ركن إلى آخر

من غرفة إلى غرفة

من موسم لموسم

ومن درب يكتم خطاه لوجوه تمطر

وأنتشل من حطب الرحيل خطىً مبتورة

هذا الضرع جاف لا خيل فيه ولا وتد

فأية جدران تبعثر الصور

وأي خواء يترصّد هذا القلب الضامر

لا تتركوا المقاعد وحدها

حتى لا تبهت ملامحها

تذكروا للمجالس أحلام مغلقة

ورحيق منسدل على شرفة الغياب

3

هكذا عندما توصد الساعة الرملية الأبواب

تخبو أضواء الخان

ويغفو تعب العمر على حد الحجر

هناك يختبئ النهار والمسافات

وتكابدك سُرّة الغيم

في الخان الكثير من السّواقي

من الزجاج الكثير وأقدام عارية

وجنون مرتعش جلده

ينفخ الغبار في الأفواه الرّامدة

وأنت تنظر إلى ملامحك المكتظة

في المرايا المنكسرة

لا تنسى أن تسدل الستار الثقيل

قبل حديث الظمأ

وتحفظ المفتاح

4

الحياة جميلة وهادئة

مثل نهر يزأر قبل الخسوف

لعلّ الأبواب لا توصد الوقت

الحبيبة غاضبة

مثل مطر منفلت ينقر الزجاج

حتى صار وجهها يطمر ظلاله

والقبيلة هائجة

كخيل ظمأى تشققت عينيها

شيخ القبيلة سجن الشجر ونفى الغابة

وأنا مرتاح كثيراً وهادئ

جداً هادئ

تماماً مثل الصندوق الخشبي لحفّار القبور

5

ما من شيء يجمعنا أنتم وأنا سوى

طاحونة عتيقة

قمح ابتلع العتمة

وحزن يقشّر مشارف البهجة

ينمو على أهداب اليقظة

بياض يمور في الظلام

حزن يشبه وتد في خيمة لاجئ

كأنه دار الأيتام

وأنتم في هذا السواد تضحكون

مثل صغير يدثّر حلم الوسادة

تمضغون حزنكم وتنامون

أبواب القيامة هنا.

مكتظ بالطحالب الضريرة

1

رماح داجنة

وأنتَ تسحبُ رماحكَ من غابة الخبز

ازرعْ عصافيراً لقلوب الجائعين

كي ينمو على نصالك السلام

وأنتَ تحتسي صوت الشراع

افتحْ باباً لصراخ البحر

وباباً لهذا التيه الموغل

وأنا من سقط في قدمي الطريق

استعصتْ عليَّ الثمار

وأنهكتني النهايات

قُلْ لي: كيف تبدّدت رحلتي في المنام؟

2

مواعيد مؤجلة

كثيراً أحبُّ ثرثرتكِ في الحربِ

تُخبئين ترياق الخوف خلف الرداء المرتبك

تقولين: في تجاعيد الضوء التالي أراكَ

في العتمة نتوغّل

والمتاريس تُواري نوافذ المدينة

الأقدام دامية حتى ينزف الرصاص

لم أرى صوتكِ

انتظرتكِ طويلاً على الشرفة المبتورة

قال حرّاس الفوانيس

في غفلة من الشرخ رحلتْ

نَسيِتْ ارتداء الملجأ

3

شيء من الخوف

ولدتُ في مرج السوسن

أرضعتني العصافير العابرة

لذلك أمقت الأماكن الضيقة

تراني أضم الغيم في جيبي

وأشاطر وجه السماء لوني

طويلاً أضحك على أسوار الوحشة

أحلّق بلا أسماء ويستدرجني درب الصناديق

أغفو فوق السرو المهجور

وأرقب موكب الجنازة

في البيت الجدران كثيرة ومرتفعة

جُلّ ما أخشاه أن أصبح فزّاعة بقبّعة من الذرة

تنتصب وسط المقبرة القديمة

ولا أستطيع الضحك

4

حكاية غير حقيقية

في النطقِ تأخرت كثيراً وأنا صغير

كنت أبكماً مشروخ الفم لا يدرك الكلام

دائماً ما كان ينعقد لساني بما ينبت فيه

تجري أصابعي لآخر مزمار

ويظل لساني مكانه

قالت أمي: ابني مكتظ بالطحالب الضريرة سطره

شدوا حرفه مسافة نور منكسر كي نراه

يأبى المعنى أن يطاوعني

كانت عيوني ظمأى للحزن

كبرتُ وأصبحت صوفياً

وضاقت الجهات على صوتي

امتطيت سدرة الاستدلال أقشر قافية النصوص

أرتل أوراد الغيم الموروث

وصار صوتي مطراً لكل عشب جاف

وجناح لكل أبكم

5

هسيس مرتبك

كنتُ أصنع زوارقاً ورقية وأنا صغير

أرسم عليها أجنحة

تشبه الطيب المسافر لمقابر الخزامى

أحمّلها حبّات القمح وأدفعها

في الضفة الأخرى للساقية تلتقطها العصافير

أنا لا أخشى البحر

ولا الأسماك

لكنني جداً أخاف من المراكب الكبيرة

ولون البحر

وكثيراً كثيراً أخشى الورق

كلّما أحضرتُ القلم تموت الطيور

لم يعد من القمح ما يكفي

يقولون الأزرق لون الموت.

ذرفت نـهري وطيوري

أحببت في صغري كتباً كثيرة

تعلقت ببعضها كطفل يشد ثوب أمه

عشقت أخرى وأخفيتها في ملامحي

وهربت من كتب سفكت عافيتي

حين قرأت قصيدة أول مرة

انكمش صدري خلف القميص

راودني قلبي عن الحروف

جثوت فوق شفق الحكاية

نظرت إلى وجه القصيدة

عيونها تحدُّق في الوجع العاري

حروفها تطفوا فوق فوهة الأفق

والسطور رماح تطعن الضجيج

خالَ لي حينها أن الشِعر قِدْراً أسود

تنضج فيه الطلاسم والتمائم

لحظات استدرجتني لسدرة المعنى

صرير صدري كان مثل شجر يتقلّب

ظل قلبي يؤلمني مسافة موكب الرمل

مسّني هسيس المخطوط

في الليل كنت أسمع صراخ عصافير الماء

يأتي من وريد الريح الجاف

جهة النهر الكسيح

أستيقظُ مرتعباً وحيداً كل صباح

في كل نوبة هلع تتلبّس جسدي الحمّى

تصبّ أمي الرصاص السائل على الماء فوق رأسي

ترتّل العمات أوراد الطقوس الروحانية

يأبى مجنوني أن يغادرني

تقول أمي صدر ابني مثقوب

كلما بكت أصابعه

يخرج من ضلوعه نخل ورمان

لكن قلبه سيموت في كل صك مولود

ظمئي لخزائن المطر يقشر عشبي

جَرّتني صارية نهري

من فيض الخشوع للصراخ المشروخ

كنت كما أذكر جنوني أضم القارب في جيبي

أشدُّ قلبي كي أسمع فاكهة السفر

وتسألني بلابل الطريق

كيف تنام القصيدة

إن لم يجد الصغار شمساً

يرمون لها نواجذهم

أو ساقية تلهو فيها مراكبهم الورقية

شجرة ربما يختبئون خلفها

لهذا ابتعت قِدْراً وقطفت الخرز الأخضر

وصرت ناسكاً

كتبت أول قصيدة

فارق التوت قلبي

لم أبرح لوني ولم أقرب زادي مسافة حقل

يقتلني هذا الجنون ولا يهجع

أحرقت كثيراً من الصور

وفديت قيدي بقمح عظيم

قبل أن أكتب الديوان الأول

قالوا انج بنفسك قبل أن يغتالك قلبك

لكنني يا ربي مسكون بالوجوه الحافية

كيف تستقيم القصيدة

وكلما دعا العشب أحبتنا للنوم

يفتحون لهم نوافذ الأرض خلف السور

قد بلغ الهذيان الانشطار

القصيدة تنتشي بالخواء الثقيل

تتسكع أسفل الظلال

لا معالم في الحروف

لا مكان لبساتين التين

القصيدة تغمض عينيها

تبدأ اللوعة هنا

من وهب الولادة شهقتها؟

من أسقط المواسم في فوضى اليقظة؟

محنة المرء أدغال المباهج

لا تظن رحم الماء ضرير

فهي معصية تربك وجه الغابة

لذلك هشمت قِدْري

قالوا للنذر أربعين وحياً

ما غفوت لكن العصب اختمر

بلوحتي الأخيرة كنت وحيداً

في قاع القلق

وفوق ظهري شقاء العابرين

خلف غيمة تفور تركت صدري مفتوحاً

ذرفت نهري وطيوري

مزقت قصائدي وبقيت أنا مجنونها

حزيناً أهلوس بتعاويذي

أكره النوم وأستيقظ ما زلت مرتعباً

ولا زلت

كلما كتبت قصيدة يموت قلبي.

حتى يُشرق البحر

مزيّف كل شيء

مثل لوحة إعلانات تنطفئ ثم تضيء ببطء

تظهر صورة الدجاجة البدينة تلهو مع صيصانها

فوق المذبح الآلي للدواجن

في الداخل الدجاج معلق من الأعناق

يدخل في أقفاص تنضح بالضجيج والدفء

ويخرج في صناديق باردة ساكنة

هكذا هي الأشياء

تغرينا ببريق زائف

ما أن نقربها تُشهر نصالها

تغرس واحد في العنق وآخر في الخاصرة

مثل الأوطان

لا ترى منها سوى الأراجيح وساحات العيد

حين تكون صغيراً

تكون مثل برعم الفرح قزحيّ الساق

تغفو كبذرة الروابي في رحم الوقت

عشرون عاماً تردد النشيد الوطني كل صباح

حتى يختنق صوتك

لكن الوطن أصم بوجه متحنط

ما أن تنادي بلادك

يعلقون لك المشنقة في أقبية الموت

كل شيء مزيف

مثل الأصدقاء المخلصون

تنهل ماء عينيك كي لا تجف أكفهم

فينبتون ضوءًا مثمراً لا تطاله أصابعك

فإن جف مطرك يرتدون شجرك

يغلقون اسمك وينامون

سرهم غريب

يختارون دون فصول هجركَ

ودون فصول اختيارياً يعودون

مزيف كل شيء

قبل الحب رحل قلبي

حيث تزهر ضفافي

قالوا الهوى يناديك

هيا اعبرْ درب القناديل

أوقدتُ وميضي فتعثرتْ طيوري

تلَوّى حقلي كعشب أعياه السور

لم يكن في الخفق النازف

سوى مواعيد لا تأتي

سألت الشجر المصلوب على الوقت

أين يذهب خلاّن القلب حين يرحلون؟

قالوا يسافرون في جذر الريح بلا هوية

قلتُ متخم بالضجيج هذا الموكب

لكنني لا أسمع زاوية الصور

زيف يملأ حلوقنا بخاراً أسود

يحجب عرينا ويفور رماداً

أقسم المارة أن السمك يزحف نحو الغابة

وأن الرمل أغمض عشبه

وأنتم قد تكونون عصافير الشتاء أو أشلاء الريح

ربما زهرة ياسمين أخضر

لكنكم خطى تائهة

مثل يتيم أضاع حذاءه

ها قد أضحيت نهراً يصطفي ضفاف الغرباء

حد الجسر الأخير

ذات حقيقة

حين يضيق بي زورقي

سوف أرسم أشرعتي كما أشاء

كي يتحول الوعد طيراً مهاجراً

يمتد في السفر

أطوي رملي تحت وسادتي

ألقي رأسي فوق ناصية المتاهة

أشتهي جنوناً صادقاً يمتطي رائحة قلبي

وأنام حتى يُشرق البحر

قطرة .. قطرة.

كثيرة هي حماقاتي

لا أحد ينجو في مسار الغفلة

كثيرة هي حماقاتي

تتواتر كما السيل المنفلت

موجة بكماء وأخرى أوصدت أهدابها

بدءًا من مخاض ضرير

في حقل النعناع

حين وهبتني الأقدار قلباً أخضر

يصبح ساقية إذ استيقظت الغابة

وقنديلاً إذا نامت عصافيرها

أنثر السوسن في وجه الربيع

تزحف على الفصول رائحة لا تصل

أعتلي جدران المدينة مثل قط الأسواق

تتعثّر بي عربات الباعة

أشتهي قضم الرحيل

مثل درب أعيته الخطى

في العيد نسيت يدي عند بائع البالونات

وأنا أبحث عن آخر خيط كان يلهو هناك

فكان نصيبي فرساً ورقياً هزيلاً ومبتسماً

عدتُ مرّة من أقدام الشاطئ دون رأس

حين أيقظتني أمي صباحاً

وجدت نورساً لا يطاوعه الرمل مكانه

قالت: ابني ابتلع البحر

ومرّة تسلّقت لوحة الأولياء

فسقط بي جسر المطر

لملم السور جسده المنهك

وتوارى في أعباء القلق

كبرتُ وكبرتْ الحماقات

صرت مرجاً من العشب

ينصبون فوقه ألعاب المواسم

ويرقص على أطرافه التائهون

صرت شيئاً من لهاث المسافة

تصرخ أصابعي ولا أعرف القراءة

وفي الشتاء السابع

أخرجتُ عيني من أنفي

حين ضمرَ الغيم الماء في هبوط الملح

تذكروا أنني حلّقت مع فراشات النار

لم يكن زهواً ولا بهجةً

ولا برعماً

كان أنيناً منسكباً وجناحاً وعراً

أكبر حماقاتي كانت في الحب

صدّقتُ ذات وهم

قالوا لي ما الحب إن لم تفيض به روحك نغماً

فرابطتُ في روضة العشق وتراً

أطعتُ مقاماته وأنهكني الهوى

حتى ذرفت قلبي

وشيّعت جنازته وحدي

أغلقتُ الانتظار وقلتُ

ما أعذب عثرات الصبا

لو أن قدري يغادرني

ويبعثني مرة أخرى غصناً من الماء

يجتث التراب المتوقّد

كنتُ خلعت قلبي ووجهي ويداي

وكتبت جنوني ونوبات اغترابي

واكتشفت سرّ الحماقة

إنما يتلاشى وقتي

مثل ضوء خجول يفرّ بعيداً

و قوارير الرمل تتنهّد باسترخاء

يوشك الطفل أن يرتبك

فوق العشب الأبيض

حالك وجه هذا العالم أسحم

ما زال الكثير في احتدام القصيدة لم يقال

أفترش وردتي وأنام

وحماقاتي تمضي حيث عيد الله

يهب نزق الصبيان أرجوحة.

أنتظر قلبي أن يكبر

بعناد باتر أمها ترفضني بشدّة

الفتاة التي أحب

تقول ابنتي غصن من أهزوجة

حسناء مليحة بجدائل تمتد بين هودجين

خدّها معتق بفضة القمر

وخلخالها من زهر الرمان

أنت شاعر أشعث بقلب صغير

وتمرك لا يؤكل

قلت خذي فرحي وساعة الشروق

حدقة صراخي ولون نخيلي

خذي قصائدي ونكهة أصابعي

لو شئتِ ما أرقت وجهي

قالت عند عتباتنا تُقرع الكرامات

أنا أَهبُ الفصول ولادتها

لا ينفع معي مطر ولا بشر

فلا فرح لكَ ولا شجر

احترت في التأويل استشرت وسألت

أما من كوة تفضي خارج هذه المشنقة؟

قالوا بلا أمل تُبحر أشرعتكَ

كل الجهات تشهق حمماً

سيظلّ حزنك جاثماً كشرنقة فقدت أجنحتها

سألوني ما بالك والنساء تصدح

أريم القبائل هي؟

أجبتُ بل شامتها

لا تشبهها القصائد المعلّقة

ولا جداول النرجس

هي وجه العيد العائم لحظة الغروب

منذ نيّف وسبعة مواسم

صدفة التقيتها

امرأة ببراعم خمرية

حبّة خزامى تلاحقها البساتين

همتُ بوجدها

ونامت غيمة على نهر قلبي

في جنون التفاح سقطت

وأنا أنتظرها

ذات رمق يحترق

وأنا على بعد خسف أنتفض في وقتي المغلق

لا فرار للخطى من دربها

احتجبتْ في بهجة البياض

امتشقت الحبيبة من جوف الهاوية رمحاً

وأمعنت في خاصرتي

تقول أحبكَ يا وليفي ولكن

ينتظرني رجل آخر

وأنا أسقط تحت اللحاف آخر الليل

كل يوم لاصطياد الغفوة

يخرج قلبي من تُرعته فوق الغطاء

يرتدي برقعاً من أسلاك شائكة

خلف السائل الأحمر يسترق النظر

بعينين تكبلهما خدوش رطبة

وأقدام تتعلّم الفطام

يبحث عن لبّادة العشب

أغطّي يقظتي وأُغمض فراشي

كي تغفو فوق الهوّة شِدّتي

لكن أرق الفراش يرميني كل ليلة

من أين يأتي كل هذا الحب؟

من أين لقلبي هذا الطفل العاشق؟

لو أن شغف الإبحار يعود

انتهى العرض

داهمتني الألوان البالية

لا تنسوا ترتيب التفاصيل الراكدة

في الخفق النازف جرحاً متوثباً

أنا وحدي وهذه الأضلاع نتلوّى

مثل قطعة وجع في سلّة ملح

بلا سبيل بلا تمر

وبلا حبيبة

أنتظرُ قلبي أن يكبر.

أحدثك عن وجع الحقيبة

لم أكن أحب معلم الرياضيات

لأنه يكْسر صور الأحبة

ويعادل أجنحة المراكب بأشرعة البجع

يدسّ جذر الريح الشارد

ثم يضع أسماء الموتى في جداول

يبتدع نظريات بفوهات صمّاء

تضيق على عيون الصغار

ويحمل مسطرة طويلة

تصل إلى رؤوس التلاميذ

يشرح لنا عن مثلثات

برؤوس متجردة من حقولها

أضلاعها مثل شجرة هرمة

وفمها طوابير من الجراد

كان يقيس المسافة بين الكرّاسة وتعب القلم

بوتد من رحم كسيح

ولا أحب أستاذ الجغرافيا

يرسم بحوراً لا ماء فيها

ولا أغصان حانية

يخبرنا عن مدن تعوم فوق شقائق النعمان

وعن فصول ممزقة الأسمال

تستجدي حزمة من مطر

يقول لنا حين تسقط أوراق النهر

يجن الخريف ويموت الخبز

حينها يقضم الغيم وجه النهار

لا تخافوا إن ألقت العاصفة في صلب الكثبان

قمحاً بلا قوافل

ولا مدرس العلوم العجوز

يخلط بالقارورة صوت الضوء المتربّص بالنهر

برائحة التوت المثقوب

وفي كل مرة تختنق شرنقة الماء

كانت يده مبتورة

قال مرة لا داع للعجلة

الطحلب الأصفر سيزاحم الشمس البكر

إذا ما نضج السور

وغفى النور على كفّ الأفق

أكثر ما كرهت معلم الرسم

وهو يصوّر في الأعشاش أسماك بأجنحة

ويرسم ستائر بلا نوافذ

حين رسمت عربة نقل الموتى

وضعت فيها صناديق من التفاح الأبيض

صفعني على مؤخرة رأسي

شاهدني مرة أرسم رجلاً يصلّي

عارياً بلا ملامح

صاح يا عبد السوء

وطردني من الحصة

أستاذ اللغة العربية كان يخيفنا

يصرخ دون مقدمات

لم يكن من حاجة لهذا المعول

هذا الحطّاب لا اسم له

ورأسه سادر بلا حول

معتقلين كنّا لا طلّاب ولا أطفال

لم يكن أبي يصدّق إني كسول

وإني لا أحب المدرسة

حين يسألني عن أسماء الأولياء

أعدّد له أغصان المدينة

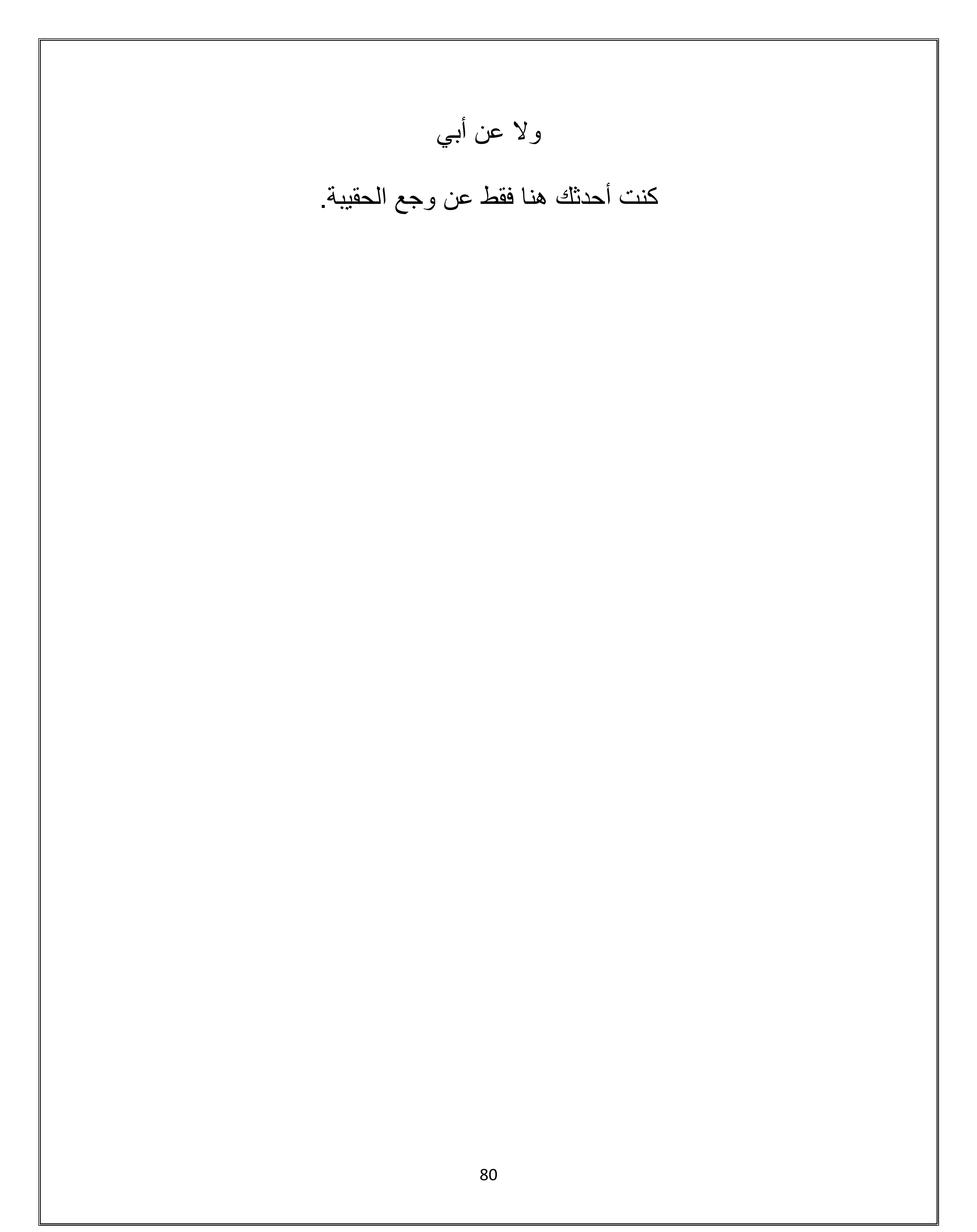
أقول الحروف مصابة بنضح من وجعها

أصبحتم تعلمون ما كان يفعل

وأنت لا تطلب مني كتابة قصائد عن الحب

ولا عن الحبيبة الوفيّة

لم أكن أبداً أتحدث عن المدرسة



ولا عن أبي

كنت أحدثك هنا فقط عن وجع الحقيبة.

قلبي يعاني الأرق

1

الأصل في العشق الطاعة فيما أمرْ

ولكل محبوب مقام في الهوى وأثر

إن كنتِ يا وليفي غيما فأنا المطر

إن كانت عينيكِ درباً فأنا البصر

لا فضل لأحد في الغرام بين البشر

إلا لمن في الحب أضناه الهجر

ما خطب هذا العشق كأنه السحر

طلاسم وهجر وهيام وأرق السهر

إن اقتربت منه يا ويلي من القدر

والبعد عنه كدر وبستان بلا ثمر

2

ليس صدفة ربّما

أن تنذرين ضفافكِ لعصافير التين

يعبرون من ضلع إلى ضلع

في دهشة الهوى ما أجملِك

وليس صدفة حتماً

أن يتجوّل عشبي فيك

هكذا صرت طيراً

أحلّق ولا أبتعد

لأن نهايتي بدايتِك

3

تأوي الصدور للصدور

أواه سليمى

ما الحب إن لم تتوسّد عصافيري

عمق الشهيق

ولم يحتوي بحركِ موجي

ويقطفني عاشقاً مجنوناً

أضلاعه آهات معذّبة

وقلبه غريق

4

كنت أبحث عنكِ

في شاطئ لا يأتي

التقيتكِ نوْرساً فوق الرمل الشمالي

وسمعتكِ في ضجيج الريح

احترت أين أجدكِ

5

لا تسأليني يا محبوبتي

ضاع العمر أسئلة

ولا تعاتبي رجل عاشق

لا شيء ظلّ يخسره

ما زلت من الهوى أصيح

صراخي من يسمعه

6

صدرك يا فتاتي وصفة للنعاس

وقلبي يعاني الأرق

حلّي سرير الشفاء

كي تغفو يقظة الجسد

7

يا صغيرتي لا تسأليني من أكون

ألا يكفيك أني في هواك مجنون

وأني قبلك كنت في الهوى هارون

فصرت بين أهداب رمشك مسجون

8

تسألينني كيف هو قلبكَ

وكيف صباحي

صباحك ابتسامة

خلف ناصية قلبي

9

أفرّ منكِ إليكِ

يكاد يقتلني شوقي

إذا ما اشتدّ الجوى

أتوق لغيث وصالك

للقلب آهات الوجد

يشكو ظلم الهوى.

يعود الشجر إلى البحر

أبداً لم يكن والدي رجلاً رومانسياً

لم نراه يحضر يوماً وردة لأمي

لكنّه يحضر الكثير من اللحم

أمّي تصنع بوفرة الخبز والكعك

تظلّ ترقب درب المدرسة

حتى لم تعد ترى المسافة

والصغار ينتظرون صباح العيد

تتوضأ أمي بالطحين وتعصر أكمام القِدِر

تمسح أشلاء النهار بأطراف ثوبها

تفرش تعبها وتصلي

وتعود إلى الصكوك العسيرة

ترتّل أورادها وتتهيّأ للظمأ

ونحن مثل كرات زجاجية صغيرة

نتدحرج بين أكياس السكّر وأقدام العمّات

وأكوام اللحم

والدي رجل ضخم البنيان والقلب والإيمان

يشبه طاحونة قديمة

يحلّق مثل أذكار الخشوع

كلّما أكل لحاء القمح نيئاً

يطوف مثل قائد حربي

كلّما علا صوت المئذنة

ويحصي أطراف العباد

يُحبّ طهي اللحم وإطعامه

يهبُ الأسماء وريد الخبز

ويقرض كفّ اليتيم

تضيق السلال على المواسم

وتتوهّج عيون القوم

اللحم وافر

تفيض الغِلال على المريدين

يبتسم أبي مثل وجه النهر

تمعن الأفواه في افتراس اللحم

يبتسم والدي أكثر

وكلّما تنسّم جارنا الرائحة

يأتي ليلقي التحية

والقوم لا يخرجون إلّا ويعودون

لم أرث حبّ اللحم

أورثني وحشة بأنياب

وأرق الاتجاهات

أبي لم يكن رجلاً رومانسياً

بل رجلاً شيخاً عنيداً ً

وكان يضربني كثيراً

لكنّه رجل جَوَّادٌ معطاء

بقلب يشبه ورق الورد

يُطعم كرز عينيه لمن يشاء

كان يناديني من حيث لا أرى

ويراني من حيث لا أسمع

وهكذا ظلّ هو كفاً بارداً

على حدود الوجع

وبقيت أنا أطوي المسافات

لا يستقيم اليراع مع أنامل الراعي

يقولون حين تهرم الغابة

يعود الشجر إلى البحر

ما زلت أقف على فوهة الرمل

لا يطاوعني قاربي

لكنّني أحرّك الماء المرتبك

وأوْصد تقاطيع الشراع

كلّما سمعتُ دبيباً أو ثغاء.

بلا أجنحة يقع قلبي

مثل كل الأشياء الموجعة

كعصافير الربيع يقطفها الغياب

تحلّق بأجنحة من فضة

لكنّها تترجّل عن شجر الموسم

إن أطفأ الصيّاد المسافة

تعدوا الغزلان الشقية

صوب واحة التعب

كلما اضطرب صوت العشب

شاقها الرمح بحافة العنق

هكذا بلا أجنحة يقع قلبي

فوق سعف الانتظار

بلحة بلحة

لا يشتهي الحياة

2

ماء النهر ينشد الصخب

يبحث في سواقي الكروم

عن الحكايات العابرة

وعن مرقد العصافير

ينقسم مرتين

جناح يعبره الرحيق

وآخر يلهث خلف الرصيف

3

كنتُ هناك

على بعد زفرة ريح

حين هطل وجه البحر

سنابل حنطة

من رأس الغيمة المثقوب

كأنني خلف مروج الخريف

يغادرني ورقي

مثلما ترحل عصافير الصنوبر

لتبرأ من اليقين

4

ونحن صغار نحتال على الأحلام

ندخل صندوق الدمى

نسرّح لون الدالية

نعطي الأماني لمن نشاء

نغفو على هسيس العنب

نستيقظ ممتلئين بالأوهام

كبرنا وضاق الثوب والصندوق

متى نصبح كروماً

تمتد عناقيداً

تظلل درب الناطور

5

بالقرب من المروج الشرقية

أبعد كثيراً من الطيور الكسيحة

تماماً على مسافة عنقين من المصيدة

ترابض قلوب الصغار

فوق الريش المتدفق

آه لو يبدأ موسم الأراجيح

زخّات ضحك

6

ما الذي تخلّفه الأنقاض أسفل الشرخ ؟

أوطان بفوّهات خضراء

أم جراد يحاصر الأسماك بالحصى؟

لا مخاض للنهر المتعب

ولا بصيص

هذا اليباس الغزير

أزقّة منكسرة القدر

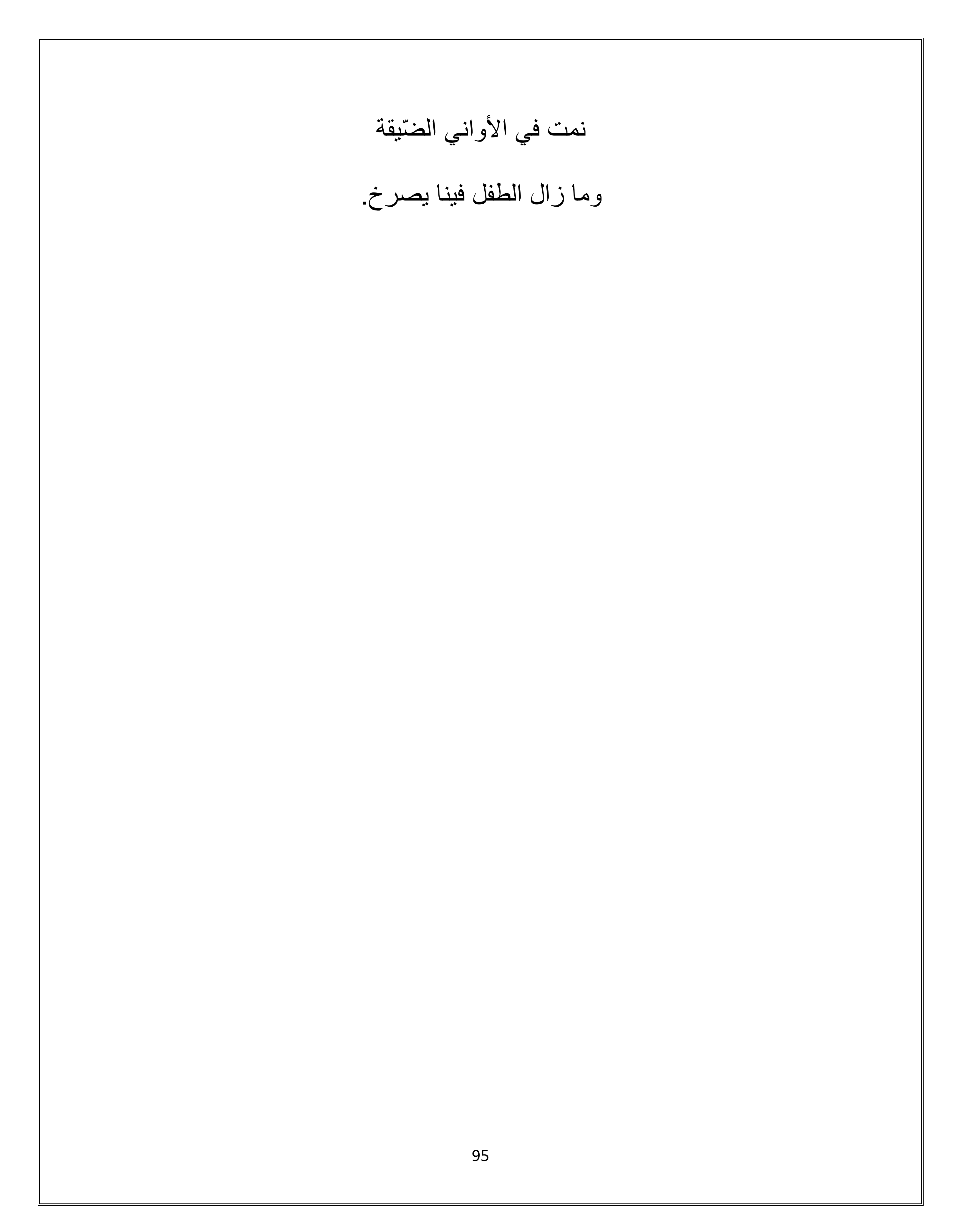
7

ربّما ضاعت أيامنا

مثل فقاعات الصغار الملونة

وربما كنّا نروّض دروبنا المرتبكة

لكنّ الحكايات ورغم الشرفات الواسعة



نمت في الأواني الضّيقة

وما زال الطفل فينا يصرخ.

وجهي نافذة هرمة

ونحن صغار

كنت أصنع مصائد للضوء

أنصب المرايا الضريرة

وأستدرج الشمس للسور الكحلي

أمزّق من صلب السواد ورقة ورقة

كي يتبعني رأس النور

يستنهض قلبي ألوان الضياء

فتتراقص العتمة دون زهر يذكر

حين يمتد من الكوة الضيقة

صوت الجناح وعداً

وتسقط قامة الضوء في الشرك

أُغلق العصافير على قلبي

أعصر ضحكتي فوق ظلّي

وأترك يدي فوق ريش التعب

كي ينضج وجهي في قوارير الوقت

الساعة تمام العتمة من كل ليلة

أتسلل خلف السور

وأوقد مزاجي الحنطي

أُحرر الضوء وأُطلق وجهي من سباته

في الصباح أعود لأنصب الشراك

وأتحايل من جديد على الضوء

أصطاده مرة أخرى

وبنزق الصبيان أرفع مصيدتي

كي يهرب الضوء ويتلاشى

مثل كسرة ضحك ابتلعها الحزن

كنّا أطفالاً نتقاسم الطرائد وبستان التين

نُفرط في نصب المرايا

نتشارك القبور ويوحّدنا البكاء

كل شيء يعود لأصله

قادتني فطرتي إلى صفصاف القرية

لم يعد البستان كما كان

بلا حول تقبع المرايا الصدئة

في بيتي مرآة عمياء كبيرة

كثيراً كبيرة

بحجم السور الكحلي للمقبرة

لكن قلبي الآن أكثر رشداً

من الماء الخشن

كلما فتحت عليه مطري

على حين غيمة

وأمسى وجهي نافذة هرمة الدرب

يبتكر للغياب خيلاً

لتدوسني حوافر الراحلين

يا الله كم يحب المسافرين هذه القبور

مثل حَمَل صغير استيقظ متأخراً

في المرج الشرقي

دون أمه

أكبو مرتبكاً أستجدي وجهي

ينفطر صدري زهرة وعصفوراً

ولا يفلح الضوء في الانبلاج.

يؤلمني ما زال خدّي

وأنا طفل

كان والدي يضربني بيديه

كلّما عانقتُ في سفر الحكاية

خلخال سندريلا

وكتابي المدرسي مغلق

يضربني حين أجري خلف حلقات الضوء

أو حين أغسلُ وجه الصباح

من اكتظاظ العسف

يضربني أكثر إن نسيتُ وجهي معلق

على النافذة

وكلّما لمستُ ذيل الصلصال المولود

معلّمي في المدرسة ضربني

حين أيقظتُ الغيوم العابرة

ورسمتُ على الجدار ساقية

وطردني

حين أدخلتُ الغابة الكسيحة إلى الصف

خرج منها شجر شاحب بلا ساقين

ومرة جذبتُ الشاطئ المبتور

نحو مركبي الورقي

وأغلقتُ البحر

قال لأبي ابنك مجنون

حتى أمي كانت ترميني بالحذاء

كلما صنعتُ من الوسائد خيلاً

أو تعثرت أصابعي بالعشب

كنت أنثرُ الفراشات

على مسافة القمر القريب

فتصفعني حتى ينحبس الضوء

وتتوارى عيناي كأجنحة تائهة

خالي الذي يدلّل ابنه

يضربني كلّما جدّد البيعة نفاقاً لوالدي

وكلّلما هيأتُ وقتي المرتبك

كي أمتطي ندوبي

الشرطي ضربني حين كذبتُ مرة

وقلتُ عصف الوباء بالمدينة

بالسوط مرة أخرى ضربني

لأنني صرختُ شاخ الملك

في موكب الجنائز

حين رفضتُ الصلاة أول مرة

جلدني أبي بحزامه ثم بكبل مجدول

كان والدي شيخاً

في أوقات الصيام

يرمون لي ما فاض عن بطونهم

يقولون لا يصح صيامنا لو جلست

كنتُ قزحي المزاج

ألهو مع خدود السماء

أخلدُ للنوم على صدر زهرة الحبق

وأنسى الجوع والطعام وألم الضرب

كرهتُ أبي ومعلمي وخالي

كرهت الشرطة ودرب المقابر

لكل عصا جريرة

وهذه خطيئتي

أطعمتُ توت قلبي لجارنا اليتيم

سلكتُ درب الليمون

ورحلتُ في الوقت الحامض

لم أبرأ من ذنوبي

لا زلتُ أكره الطعام

ويؤلمني ما زال خدّي.

أوصدت الغابة شجرها

1

لم يمسّني صوت الأولياء

لكن كفّي

لم تألف الأجنحة الضريرة

قالت أمي

قدركَ أن تظل هكذا

مديد مثل الأحلام

وحزين كوجه العيد

2

استحال قلبها

طيراً من عشب

رسمت عليه صدري

وأغلقت الأضلاع

كي لا يهرب الحلم

3

الشجر معتقلٌ

والطيور رحلت

أوصدت الغابة أبوابها

سجنت كل شيءٍ

وبترت المفتاح

مازالت خلف السنديان

عصافيرٌ تنتظر

4

يفتح فمه الماء

لعصافير الغرباء

سقط وجه الغيم

فوق ساقية الرمل

قالت عجوز

ادخلوا قبوركم آمنين

لا تخافوا

إنه الجنون القادم

وشيء من الوباء

5

لم يكن من الحلم بد

لهذا

كان ليلي محتشداً بالوجع

فجوة في المطر

لم أكن أضلع الألوان

لهذا

كسر سواد المزامير صدري

لا تسلني عن هزائمي

فوجه الغيم مبتور

6

يفيض الصبح مواعيداً

على ضفاف النوافذ

لا معنى لألوان الضوء

في عتمة الانتظار

7

هيفاء حوراء تزهو فتنة

كساها الحسن حلّة

مثل حد السيف لها زند

والشفاه كرز جبلي

والشامة رواسي الشم

على الخد

الوجنتين توت شامي

وشعرٌ كجموح الخيل

يصهل فيتمايل القدّ

كنت أرمي صيدها

فرمت شباك الوجد

أخلصت لها الغرام

فأصاب قافيتي السهد

8

ببطء بائس

تتقطّع ساعة الرمل

الأرصفة تترقّب المواعيد

لكن السفر جثم على المحطة

9

وجهان للشجر

واحدٌ في هذيان الرقود

يتعرّى من حقله

والآخر يمور

خلف سكون العشب

تهجع العتمة للخطيئة

الغابة لا تنام

10

لا زلت عند صخب الأبواب

اخالط في عتبات العمر

أجنحة الرحيل

يقولون

أن للدروب صوت الغرباء.

يانع أيها التعب

1

على شرفات الصباح المتعب

يتعثّر كوب القهوة بالعصافير

تستيقظ المدينة متورّمة

السكون أبلغ من حقلين بحافر واحد

يتنفس الدرب الكسيح المشقة

يُصلح البساط ألیافه

ويعود للسهر

2

تغويني القصيدة كي أعلن وفاتي

يتشح الورق بالسواد

ينتحب الحبر بكاء

والأقلام تصنع تابوتاً مزركشاً

ارتبكت الحروف تشتهي رفاتي

لا أرى سوى سطور حافية من الطين

وقرطاس فاغر حرابه

النص يتأرجح مصيدة تضيق

شقي بما صنعت يداك

تكبو أجنحتي في الجملة الأخيرة

أسمع ثرثرة المهنئين

3

حين تلقين وشاح الهوى

على أضلعي

تنام عيناك في قلبي

أنت الموغلة في قتلي

تتلصص اصابعي كرز القميص

نتوسّد عمق الشوق

في الصباح يبتسم الفراش

4

يانع أيها التعب مكتمل الظمأ

هات طاس المواسم واسكب

غار الكروم شفاعة المقهورين

لا شيء في معجم الضجيج

سوى أخاديد المروج

وحمل صغير

يجري بعيداً

لكنه لا يغادر

5

لا ساقية للماء المنفلت

كي يتنزّه مزاج المطر

في الكروم

ثمة أراجيح من ورق

تتدلّى من صوت الصغار

وحده الغيم طفولة رمادية الريحان

لا سرير للشمس السوداء

كي يغفو التعب

6

للمنتظرين الحزن عيون تحاصر النهر

للأفق نوافذ تتسلل منها ذراع الشمس

وأنياب الفراغ تزحف نحو فطرة الفرح

تخشع الأزهار على قاب أمل

يصيح الوتر لكم رؤيتكم

وفي عتمة تُصبحون

الصور تركض خارج المقام

منجل القوم يرمي بالحياة

من نافذة الحقل

سفر قزحي يملك كل الفراشات

7

تلهث الدروب خلف الخطى

تبحث عن الغيم المهاجر

حين يشتد الرحيل

ويحاصر الماء موج التراب

تخلع بعض المسافات

لتستريح

تدخل عتمة الرمل

تمتد نحو فراشة الضوء

تصلح أجنحتها

وتمضي

8

قالوا أن زهرة النور

عادت إلى الظهور

جاءت من زفرة الأرض

واقتنصت من انشطار الواحة برهة

فسقط الشاطر وارتقى المشطور

وآخر يقول ويل لمن تُخْتَمْ بصيرته

عشرين كتاباً للشجرة

وأشرعة ترقب مقلة الحرف المكسور

نتوغّل في الكلام مراكب تنمو

على أصابع الصوت المقهور

يغشى برد العنكبوت شجر القبور

قبلنا لم تكن مرايا ولا بحور

تتهاوى المسافات فنلوذ بالغابة

نعتصم بريش الطيور.

سجدت تشتهي الصعود

1

قد يكون دربك ثقباً حافياً

وقد يكون الثقب درباً يرتق ظهرك

لا تقلق

اجعل من الدرب نهراً

ومن الثقب شراعاً

تبحر الموانئ إليك

2

المدى الكئيب خلف الوعود المغلقة

يجثم في استكانة الأحلام

كان الوتر مسافة غيم

والخطى قوافل مترهلة

أضنى السفر التعب

وشارف المطر على حزنه

3

حين انسدل الشوق جرعات محترقة

بعد رحيلها

اشتد به الوجد قرب عنق العزلة

الدرب اصابه الهرم

وأخدود قلبه خدوش حاسرة

صارت أنفاسه تولي شطرها خاصرة النشيج

صرخ: قد تعبت يا صاح

تشققت عيناه ونبت فيهما لون الاحتضار

يقول الراوي

أن الغيوم الخضراء على بعد رحمين

من بذرة الماء

سجدت تشتهي الصعود

4

لم يكن من داع للسفر

رحل يبحث عنها في غابة الصنوبر

كانوا هناك حين شاخ وجه القمر

يلملمون الرماد وينثرون الزبد القادم

من ساعات الاحتضار

ارتبك إيقاع النهر

أضاع سراج الخطى

فأمسى حزنه مسفوحاً عارياً

لا حول له ولا قبر

كأنّ الدروب تأبى الخلاص

أسند عينيه على حجر

بكى فأبكى الشجر

5

كل صباح تستيقظ الشجرة الحدباء

بوجه حاف منطفئ كالعصافير العابرة

تقطف ريشها وتعفر التراب

وتجمع الفراشات من عين الساقية

تتربص بذئاب الماء

هكذا حالها

منذ أن داست صلصال الصبّار

حوافر الفصول

خلف البساتين النائية

ورتقت الغابة ظهر الشوك

6

في الجبل الأسود العريض

جثى النبي الكفيف وسط المريدين

قال: هنا يحتجب الماء خلف نبع الأفاعي

وتتحجّر طيور الأرض

هو يوم الوعيد

من أول طعنة

في خاصرة الخليفة

ذات شهيد

إلى أن يُشرخ وجه الشمس

ويسيل من أكمام الأرض صديد

7

خلف فراغ السواد

بحر تائه

تعوم فيه أعين القتلى

حين تتعرّى الغابة القريبة

وتسمع العواء الأزرق

تهرب العيون

سوى قدم محمومة

لعلّها آخرهم

تخبر أطراف الرمل ما تيسّر

كيف جبّ الموت

وكيف يتواثب فيه الخلق

8

حفّار القبور غراب أعرج

يلوي أخاديد التراب مصيدة للطيور

كلّما ينتهي المساء

وينقسم السكون على شفتيه

يمدّ خيوط الرمس كالألواح

فوق الأكفان

يضرب الرماد بالرماد

وينثر النعيق على بكاء الحدّاد

9

بينما يذوي الغرباء

دون قصائد

تتسربل الحقائب الباردة

بأوراق الريح الذابلة

يفك السواد قيد الوطن

يفقد الجياع ضوءهم

ليثمر التعب خبزاً

10

عربات نقل الموتى

التي تسكن فوق حشائش العتمة

بعد نهار متعب

تتسامر داخلها طحالب الموت

تحتدم الصور الباهتة

وتفور الأسماء

تصرخ الصناديق الخشبية

نريد اعتزال الحياة

هذا الكون الضرير

مثقل بالبؤس.

في حواري الشام

لمْ أنمْ حينَ كنتُ صغيراً

أنصبُ أشرعة الرحيق

أخبّئ أقدام البحر ليلاً

وأُبحر مع سندباد الكلام

طفلٌ لا أهجع ولا أنام

كانَ لي قلبُ فَراشَةٍ

يلهو معَ الحمامْ

شاباً كنتُ ولمْ أنمْ

ما كانَ ليلي يتّسع الأحلامْ

أبسط كفي للعابرين وسادة

تمتد عناقاً وسلامْ

لمْ أنمْ حين كبرتُ

أقرا هزائمي كما اشتهي

ويحاصرني الركام

أنتظرُ أن يهطل وجهها

من نافذة المنامْ

رغم عتمة العمر

ما زلتُ طفلاً غجرياً لا أنامْ

لقدْ نسيتُ قلبي

في حواري الشامْ.

بنات المخيم

1

حملت النافذة من الدرب قسراً

فأنجبت طيراً

يرابط قرب زهرة الماء

يرقب مقلة المسافة

في مواسم الحبق

يقايض الشوق بأنفاس الربيع

وحيد مثل حلم وعر ومرتبك

تترصده خطى الضجيج

يتوسل الطرق التائهة

حين تمر أسراب العابرين

يعود منكسر الشغف في كل ندم

لا زال كلما أمعنت الطيور في التحليق

إلى أعمق عتمة معزولة

خلف الجسر الأخير

يظل على قيد الانتظار

2

هذه الأسماء فراشات مقيدة فوق الكروم

العناقيد يرقات شائكة تهبط وتضيق

والصور ترقد في حزنها المؤقت

فكم من شرنقة تكفي

كي تبسط العذارى

جناح الفناء على الحقول

وتسقط المواسم في غيبوبتها

مثل صلصال يتوب من الحياة

3

بنات المخيم

فراشات في عين الصبح

كعناقيد الطهر ترتّل صلاتها

بقامات تزهر نعناعاً كلما ابتسمن

لهن قلوب مثل كف الأولياء

في مستهل الحواري يبحثن عن موّال

يثرثرن عن الأحبة

تصبح عيونهن مثل ورد الرمان

معقود على أجنحة

ليس لهنّ سوى العصافير المهاجرة

لكن ليلهن محتشد بالحقول

والمواسم غلال حزينة

يقبعن خلف نوافذ الرحيل

يسرّحن ضفائر الانتظار

بنات المخيم مازلن كما هن

أحلام لا تتعب

وحكايات لا يتسع لها السفر

فإن اشتد عليك الوجد وتسلقت كتفها

تجد أرجوحة البستان.

صخب الأبواب الضريرة

1

لأني اعتدت الانتظار

حاصرتني المواعيد

اجتاحتني الشرفات

والنوافذ ضجرت لعبة التّرقب

2

يتقاطع النهر بالنهر

والسّواقي أوردة خشبية

وعويل لا يهدأ

إليكَ خذني

قبل أن يهلك الزورق

3

هالكِ قلبي وكفّي

اندحاري وصخبي

وكل التفاصيل الضريرة

لا توقدي

مسافة الحريق

4

ما كان للصبح

ذاك الوميض القزحي

لو أن مرايا الليل

تماهت في كنف الفجر

مع نكهة المطر

5

يسقط كل الغثاء

لا تلتفتْ

متى يهلك الماء

ويبتر الغيم الأخضر

جذوة الحياة ؟

6

غابة الجنون

معلّقة من جذرها

على جدار التراب

خذْ نصيبك

من الحزن الشهي

وامض

7

تفرّ طيور الوقت

من سحنة العمر

عقارب الوعود مصلوبة

فوق هديل الخاتمة

8

احتسي إن شئت

ناصية المركب

لا تتعجّل البحر

فإن توسّد الشراع

قاع القوس

يبتر الرحيل سهم السفر

9

لا عربة لدرب النوافذ

ولا شرفات

تذوي آخر العصافير

قبل أن تلامس العجلة

ثوب الشمس البكر

10

لا زلت عند صخب الأبواب

اخالط في عتبات العمر

أجنحة الرحيل

يقولون

أن للدروب صوت الغرباء.

وطن من حطب

على بُعدِ رصاصة منها عثرَ على كرّاستها اليتيمة

خبَّأَ جداول ألوانها خلفَ صورِ العتمةِ

ونثرَ نكهةَ الحزنِ فوقَ بساتين عمرها

حمل قلب طفلتهِ وسلكَ درب الرياحين

كانتْ الخُطى تضجُّ بالجندِ

وشجرَ الطريقُ يصبحُ قرميداً ينكمشُ

انتهى الوطنُ وغرابُ المقابر نهشِ عنق الفرح

انتظرتْ أن يغفو النرجسَ

لتموتَ في وريدِ النهارِ

قالتْ يا أبي

هذا صوتُ روحي مثلُ صُبحٍ يحتضر

تسلَّقَ عينيها وهو يبكي

رَسمتْ سماءُ بقلبينِ وفَتَحَتْ عُشبها

والملائكةُ رقدتْ قُربَ ابتسامةِ الموتِ لتستريح

كَتبتْ وصيتُها على مرايا الحطبِ

حينَ يصبحُ الخبزُ بلا لونٍ

أُقطُفْ ريشُ الأسماء مِنْ نافذةِ النار

وهِبْ شجرَ الماءُ ألفَ حريقٍ ليطيرَ

ما زلنا ننتظر فرح أو جنون.

الليل يحتسي الوعود

1

قبل أن تدنو قصيدة الغرباء

بما فيه أطراف الغابة

تلاشت أشجار الوقت

حمل العابرون صوت الطيور

لا يلتفت لهم مدىً

2

لم تغفو شمس النهر

منذ رحيل الغيوم

ما زال قيظ القوم مستيقظاً

والصغار أهلكهم الظمأ

3

منذ كان الحقل طفلاً

أناديك بكل الحكايات

سأظل لك

شيئاً من الدالية

ينتظر عنب الراوي

4

تضيق رائحة البستان

على نكهة المروج

سجين هذا الورد

لا شبيه لعبيره

في قفص آخر

5

خلف النوافذ المنسية

أحلام عاجلة

6

تتعب الأحلام من التحليق

تغفو فوق ضفائر السواد

تتسع أكوام العتمة

ومساحة النوم تضيق

7

تتناثر أشلاء الدهشة

تحت أقدام الفراغ

ما زلنا كما نحن

نقطف من الوهن

عزم الصخب

ويقتلنا السكون

8

في مستهل الساقية

يبحث الحلم عن النوم

يشرب الملح النهر

تضيع ملامح الأجنحة

9

لا يقوى ريش القلوب

على مخاض الانكسار

هذا السكون لا يهدأ

حقاً لا يهدأ

10

خلف كل مسافة

خطى متأخرة

11

النوم أضيق من الأحلام

واللّيل يحتسي الوعود

يغرف ما تيسّر

من الجرّة المبتورة

يستيقظ الصبح محموماً.

بعد منتصف النعاس

1

الدرب لا يسير

دفنته الشظية

والخطى تطفح بالجند

رأوه يسلك طريق الأراجيح

يحمل قلب طفلته

2

تعبر أسراب السرو

وجه العصافير

فيسقط من صديد الوقت

فمه ويداه

كانوا خلف نوافذ الغابة

يبنون من جوعهم

مواسم للثمر

3

يتسلّل عبر أوردة الوقت

تيه بليد بحجم مقبرة

لا شيء

سوى سواد بلا ملامح

نوافذ تتلوّى

وعيون تقطف عشب الغائبون

4

هذه القلوب مكلومة

والأكف مسفوحة

فوق قرطاس الصبح

تقرأ تعبها

نهر بلا عنوان

هل تنمو ؟

5

كي نحرّر وجه الأحلام

تستيقظ الأدعية

بعد منتصف النعاس

تفتش عن عربة الضوء

في آخر مشهد

تفرّ الأسماء المتخمة

وينام الدرب

6

يسرّح شعره أمام المرآة

بينما يطلق صفيراً خافتاً

يدندن أغان يحبها

يحدق وهو يضع اللمسات الأخيرة

لربطة العنق

يرتشف ما بقي في الفنجان

من قهوته الصباحية

يذهب إلى عمله

في السجن المركزي

بقسم اقتياد العشّاق والشرفاء

إلى حبال المشانق.

نوافذ أرهقتها الستائر

1

تقلّب فوق لبّادة الوجع

لا أنام

ينام الفراش على أضلاعي

ويغفو الريحان

يطوي الليل أحلام الناس

أفواه تستجدي رحيلاً

وظلالاً تمتد خلف رماد المكان

قبل أن تنسدل عقارب الوقت

فوق اسوار المدينة

وينهض من المآذن الآذان

ظهرت عروسة الأساطير

حسناء سمراء حوراء

تشبه قناديل البستان

قالت أي صخب يثقل عليك

ما لي أراكَ متوثباً سهران

قلتُ إنّي أقرأ هزائمي

وأقطف ذاكرة البيان

أتفكّر بالشقاء

وأنتظر أن يكون لحلمي عنوان

ابتسمت بسخرية وقالت

الأحلام في بلادي ممنوعة

والنوافذ أرهقتها ستائر الأوطان

أخرجت كرّاستها الغليظة

تعال أيها الهالك انظر

هنا جرحك متجرداً من صوته

في كتاب الأحزان

بسطت الحكايات عواء المسافات

بعثرت الأفق وفتحت البكاء

لا يمطر الصباح

لكن الغيوم تبتهل النهار

ماذا لو نزف الوقت أنفاس الماء

وعانق الحقل وجه الفصول

هل تتشقّق الشرفات

وتنساب منها عصافير الانتظار ؟

أم يرحل جنون الناي

وتمتد تقاسيم الفراغ

مثل عتمة بلا أسوار

في صخب هذا التيه الملبّد بالخيبات

أتلفتُ أحلامي وأعلنت الانكسار.

تقيس مسافة الشوق

1

هنا تركتكِ

وهيأت لكِ المخاض

ليس لي سوى عصفور

يرابط عند نافذة المطر

وقلق معقوف القافية

ولدتني أمي طيراً

فكيف أطفو على الزبد

والقصب جهات فارغة

والماء مرايا راحلة

هنا وجدتكِ

يرقة سائغة للتحليق

من كَرْم وجعي

2

أشكوكِ لي

فليس لي منّي سواكِ

وليس لي

إلا التباكي فوقَ جمر ما احترق

في المبتدأ كنتُ وما كنتِ

فيسأل خافقي الذكرى أكنتُ؟

وكيفَ لي أني أكون

وأنتِ حلم ما انبثق

والله إنّي أشفق مما قد فجعت به

إن كان يدفع عن ذي اللوعة الشَّفق

3

لمحتها عنقاء

يغريها لهيب الماء

ترتمي ولَهاً بنارِ العشق

يحييها الرماد

فيتبدّي منها الشفق

أبصرتها عنقاء

وكلّما أيقنتُ ماءً

لم أشأ إني

وقد فاضت رماداً أضلعي

أخشى إذا اعتدتُ الماء

أموتُ من فقدِ الظمأ

4

أعشق نضج المحاصيل

وأحب من الفواكه

التين والرمان

يروق لي وتر الغرام

إن تقطّرت لذّة قوسه

وأهوى ارتشاف الألحان

أحتسي زهر الموانئ

ويطويني الشراع

كأني في بحر الهوى ربّان

رفقاً يا سيدة الحسن

من فرط فتنة الثغر

تاه مني الشعر والبيان

5

على بعد ظمأ منك

عثرت على أول موجة

وضعت يدي على قارعة الرماد

ألوّح بالماء

6

ذات رنين

كانت تقيس مسافة الشوق

بضلوعها

وكانت تقابل المرآة

كي يحضر وجهه

7

ألتقيك في النوافذ المغلقة

ألتقيك في الشرفات الماطرة

احترت أين أجدك

8

على نافذتي

تورق رائحة صلاتك الأخيرة

ضوء له مذاق الفراق

9

لا تترك يدي

تمدّد على راحتها

كي أنسدل مطراً

وتنبت أنت شهقة فوق الغيوم.

يهرب مجنوناً قلبي

1

آه ما أمرّ النبوءة

عشتُك قبل اللقاء

وبعد اللقاء بدأتكِ

حيث انتهى حلمي

2

قيّدتني بأغلال الهوى

وشيّدت أسوار العشق

بجنود الحب تسلحت

وبعتاد الغرام تجهّزت

أيتها الحورية

ما أقسى الجدران

3

فوق عشب المواسم أستلقي

مثل طفل بين أكوام الزنبق

عصف بي كَرْمها خمراً

انغلق الحقل على صوتي

4

كم داعب لوح الوصال رابية الأحلام

لكن النفس عن العشق فضّلت الصيام

قالت أنا الهوى والفتنة وللحب علام

فدع عنك الذنوب إن الله يغفر الآثام

5

قالت

لماذا يحب الرحيل النوافذ الحزينة

حد الدروب

قلت

عيناك وحدهما طيور شرفتي

فحلّقت كفراشات القناديل

6

ربما ليس صدفة

أن أتقمص وجه الحلم

ماذا لو هرب مجنوناً قلبي

إلى ضلوع وسادتك

7

خلعت الكلمات حروفها

وللورق إغراء

أطلق السطر تنهيدة

تبعثرت رجولة القلم

تردَّد..تلعثم

مارس الشعر

فوُلِدت قصيدة

8

راعية الحروف

أنزلت قطيعي في الوديان

بنت كوخاً

أوقدت النار

غفت وهي آمنة

9

الميلاد سر يديّ

قالت

خبئ خطوط عمري بين هواك

وسجل مع العاشقين اسمي.

نتوغّل في الغناء

حين يتدحرج لون القزح

خلف ضوء الأراجيح

تمر عربة الحزانى

اِصعدْ أيها الحزين تعال

ها نحن هنا كلنا مثلك

لا تخف

مثل حبّات المطر نتّحد في ليل المحطات

لا تقلق كلنا فاشلون

وحيدون مثل قصيدة هجرتها الأحلام

نرقد هنا مثل عصافير تخشى الأشجار

لا تقف هناك وحيداً

تعال

اجلس فوق عنق هذا الكهف

لا تحتار

ستهرب الريح بقاع الحجر

وريثما يرتبك الوقت

سوف أغني لك

حين كنت صغيراً

كنت أحلم أنني قبطاناً

حين كبرتُ صار بحري ورقاً

أطويه شطراً حزيناً

وشطر يلوّح للخواء

لذا تراني أخبئ المراكب في الحقول

وأبني للأسماك أعشاشاً فوق الكروم

أبحرُ شراعاً يزهر فوق الأحلام

استيقظْ لا تنامْ

أوشكت العربة أن تصل

هنا وحده الحزن ضالع في الناي

تعال نتوغّل في الغناء

كي يستيقظ العمر البليد

ونغفوا قبل غيبوبة

لا ينفع فيها شعرٌ ولا جنون.

تهت في أبجديتها

هكذا كانت حين لمحتها

حسناء تتنهد بأنفاس رطبة

تتمايل بصدر مموج منشطر نصفين

عينيها عصافير في سفر كطيور الجنة

الخد حلاوة تمطر تفاحاً

وجه قمحي يزينه ثغر خجول

أطلقت كالسهام زنابق حقولها

فحلّقت فراشات صدري

يجذبها سحر البيان

وتوثّب قلبي لهفة

كمن شاقه جفاف الظمأ

يبتغي نبع السهول

هكذا هي

غيداء أعذب من كؤوس الشهد

تروي بالغواية والدلال شاربها

ريم البساتين بأقراط من الدهشة

لأجلها تبيع الهداية بالهوى

تُقدم في وصالها ولا تهادن

يا قاتلاً يا مقتول

تطوف بحسنها ممالك الغرام

كأميرة فوق خمائل الهودج

تعبر كأنها تنصب بالرمش فخاً

يتساقط العشاق حولها صرعى

وهي في ميادين الحب

تصول بسوط الهيام وتجول

يغريني صوتها لأشتهي الثمالة

أدوّن باستفاضة يقين شوقي

فوق سجّادة الصبابة

حد التبعثر

وأترك الأنامل الضريرة تتعلم

وتشقّ دروب الوصول

نتقلّب والجهات متاهة ترتعش

تعبرني خيوط الماء كسهام إغريقية

تقول بمكر بطرف عينها

هذا لوحك معلق من عشبه

أكتب وجدك هنا يا وليفي

واقطف ثمر الحقول

تهت في أبجديتها وأغشاني الدوار

فسقط وجهي بين القباب الندية

وغرقت عيناي في هاوية

ما عاد في الجنون متسع

غاب رشدي

لا أعلم يا ويلي إن كنت فاعلا

أو كنت المفعول.

يتيم العمة

مهداة إلى روح عمتي صالحة جنداوي

كان لي عمة صبية
تضع رأسي في حجرها
كل ليلة قبل أن تأوي للنوم
تغني بصوت خاشع حكايات الأولياء
تسافر قدماي حيث كرامة الغرباء
دون أن أغادر
أجري على ضفاف القناديل
ويطفو فوق الوميض وجهي
أصابع عمتي ترتدي شعري العبثي
تسألني عن زهرة الريح وقلق النوافذ

تقول خبئ غيومك إن اشتد جناح الصقيع

لا تمتطي أسماء الأبواب المغلقة

إن لم تمتلك مفتاح الأسفار

تكفكف دموعها وتستدرج لحظتها

ترفع رأسها وكفيها للأعلى

بصوت حزين خائف تقول

يا رب قد ضاق وجدي

وفرحي بعيد مثل الكروم خلف التلال

ما زلت أنتظر على أبواب الغيم تعباً

تخفض يديها وتحضن ِرأسي

يعلو صوتها

يا الله هيئ لولدي فراش الإيمان

اجعل المسافات طوع صوته

ازرع في خطاه سراج اليسر

وابعد عنه جراد الدروب الضيقة

يا رب اجعله من الحالمين

كنت صغيراً مرتبكاً

كلماتها تسربلني ثوباً من الريش

عمتي الصبية كانت جميلة

غصن من فضة يخالطه زهر الجنة

بضفائر تمتد على أجنحة الضوء

مثل فراشة الأنهار تغتسل بالمرايا

عمتي الصبية التي كانت تدعو لي وتغني

انطفأت عينيها ولم أكبر

لفظ فرحها أنفاسه في بياض الثوب

شيّع الطفل عمته يشهق حمماً

في شرخ القميص المكلوم

تكتظ ملامحها في صراخ الصغير المنكسر

حين كبرت أصبحت تلاً من الماء

أتلو ظمأ العشب من الكتاب المتقد

أركل العتبات النائمة بصوت مرتعش

فكيف يغفو صراخي في جوف الجدران النائمة

قرب لوحة الأنبياء

لو أن الوقت يا عمتي ينكفئ أو يموت

لو أرتدي ذاك الثوب العاري

في العتمة الأخيرة أو يغادرني

ما زلت في حكاياتك طفلاً لم يكبر

ما زلت يا عمتي أرى بحور وجهك ترحل

وأنا لا زورق لي كي أنام

أوثق عيناي حول الصفصافة العتيقة

أحمل رأسي وطيفك وشيء من المواويل

تعدوا كفي صوب آخر رمق

في حزنك الأخير قبل الموت.

حزنك يبحث عنك

1

ذات ظمأ

سأرسم القوافي كما أشاء

فوق أعتاب الفصول

تماماً خلف الخطى المرصودة

بالأمسِ كنت هنا

على بعد هيكل وسديم

أبتلع ندف المواسم

وغداً سيكون ولدي

سيف هالك بتّار

ذات صلاة

سأضع الهزيع الأخير من الضوء

وما تيسر من سقوط محموم

تحت وسادتي

وأنتظر وطناً كان وعداً

في الأسفار

2

أيّ طفل يَسكنني

في المسافات العارية

موجة من أنين

يجثم فوق الأراجيح المغلقة

أي غلام يرسم على النسيم

خطوات الريح

فوق سطور الفراغ

ويكتب على الغيوم الراحلة

هنا أنتفض من غباري

أمزق كتف الليل

وأغفو مثل تواشيح حزينة

قرب ساقية الصبح

3

أحلام كسيحة دون أجنحة

أوجاع ترتجف كأهداب نازفة

في الجسد الباهت

وليل منكسر الضفاف يعوي

يوم مرير مسافة جوع

ويوم أمر من حنظل يفور

الحياة حين تصبح صديداً

وحقلاً مهجور

4

حين تُطوى أجنحة الانتظار

على عناقيد الضوء

تذبل المواعيد

ويختفي ضجيج الصور

فمن يُطلق للشرفات الحزينة

عصافير الخمائل

ومن يمتطي النوافذ الساكنة

مثل الدروب العتيقة

دون أن يمضغ صوت الراحلين

5

لا شيء في الأنامل الزرقاء

سوى مخاض يرتعش

يأسر البياض الوقت البارد

قيد ميناء رمته البحور

فتذوي عيون العمر

قبل أن يضيق شراع الكفن

6

يقول الراوي

أن الحفاة باعوا زيتي ولحمي

قبضوا على ثوبي واسمي

وقالوا ارقد هنا

هذا حزنك يبحث عنك

فإن مت

قرب الحجر الضرير

هل سيذكر ذاك الغدير

مهاجراً غريباً بلا وطن

بلا وشم ولا **كفن.**

وطن من أحلام

نمتطي عيون الفصول سيلاً من بحر

يئنُّ صراخنا وتلمع وجوهنا

مثل قناديل طفولتنا

وتصبح كل الجهات مطر

موتورة مدن الرجوع

عند تقاطع المواسم

تغتالها الريح

كأنُّها بين أحضان النصال

ورق الشجر

لا دروب لنا حيث نريد

يا منتهى حزننا

فماذا لنا إن سافرت البحور

ربما مثل رقصة النار

لظى ولهب دون سفر

نطوف المدن الحمراء

أطفال تبحث عن أطفال

ننتشي بالألم الصامت

والحزن المكتوم

تطل علينا النوافذ حزينة كالعيون

يفيض دمعها

وتئنُ في وحشتها دون أثر

حزن الريح

يمحو رسوم الصغار

على خدٌ الرمل

طرقنا كل الأبواب

نادينا عليك يا أُمّتي

لكنك صمٌاء

وحين اختنق صوتنا

في أضلعي

علمنا أنك سراب

ليس فيك بشر

نحنٌ إلى وطن

يكون ليله كالصلاة

وطن من الأحلام

نحنٌ إلى نبوءة تسبق الموت والدمار

وطن لا يتشقُّق الورد على أرصفته

ولا يستيقظ فيه الخراب ميقاتاً

كأنه قدر.

نهر الجنون

وحشة الدرب حزن أعسر

ينتعل طريق الرحيل قدمي

والأماني العتيقة وسائد رملية

تماهت الألواح العظيمة

في كنف الزهر الأبيض

مع نكهة النحيب يوم الظمأ

تتمايل الأزهار أسفل الرحيل

رماد وأفواه فاغرة

تجثو قرب خدوش الوقت

وسكون مصلوب على سطح الكتاب

ترى الروابي تشيخ

وتهمد الأشجار

سألتني باضطراب

متى تبدأ؟

أم بدايتك انتظار ؟

أجبتها

لا يستقيم اليراع المشطور

مع حزن الراعي

قد طويت نهري خلف الريح

ورسمت وجه المطر

فوق تعب القلم

جمعتْ دمي بكفها

قالت امضِ

سِحنة الليل سَكَنَتْ أطرافها

لا تغفو في قاع الصور

الحجر في أفول

لا تعود

حتى ترى غابة الورد

معلّقة من جذعها

على جدار المطر

بكتْ وأنا أمضي

لا زلت في رحيل

ما زلتُ أحلم

وأنتظر طوفاناً

يقوّض سدود اليقظة

ويُطلق نهر الجنون.

درب الأراجيح مغلق

لا فطام للغابة الحافية

من جنون المطر

يغسل خطايا الشجر

حين استيقظت عصافير الصباح

أغلق الغيم نوافذه

ونام

2

كيف للمنكسر على أعتاب الحقول

أن يقبض على أحلام موصدة

تسقط فوق البيادر

أوراق ظمأى

تذروها الريح الحزينة

يتدحرج صدر الحزن

في حكاية الجدة

موحش هذا الغياب

تتكور الطفلة فوق صورة الأم

مازال قلبها صغير

جداً صغير

3

قد بلغ الاحتضار بذرة الحياة

يرشح شجر السنديان

بخار أصفر

قال لها ساعديني على الوَرَعِ

قالت

كيف نراوغ الطيف المتعرج

في نافذة الموت

ونحن عراة

أخشى أن أفقدك

4

لا شيء يختم سفر الانشطار

لا تراتيل التكوين

ولار قص الدراويش

المدينة أغلقت الصلاة

لتتكاثر الأكفان

5

تفاصيل الحزن

ويدك المنزّهة عن أوجاعي

يقتحمان ثرثرة القصيدة

وعربة الدموع التي داهمتني

شيّعتني على أكف الصمت

6

المواسم كئيبة

والحقل حزين

خلف السور تسير قوافل الجوع

يوشك المطر أن يرتبك.

7

جنائز الغرباء

على بعد طفولة

من باحة البكاء

نعش يسترق الحياة

لكن ...

درب الأراجيح مغلق.

المؤلف في سطور

حسن العاصي

باحث وكاتب وشاعر فلسطيني مقيم في الدنمارك

باحث في قضايا اللجوء في منظمة مساعدة اللاجئين الدنماركية

عضو اتحاد الصحفيينالدنماركيين

عضو اتحاد الكتاب والمؤلفين الدنماركيين

عضو الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين

عضو نقابة الصحفيين الفلسطينيين

عضو اتحاد كتاب الإنترنت العرب

عضو في جمعية الصداقة الفلسطينية الدانمركية

عضو في لجان حق العودة

باحث دكتوراه فيعلوم الإعلام

حاصل على ماجستير في الإعلام والصحافة

حاصل على بكالوريوس في الإعلام والصحافة

دبلوم دراسات فلسطينية

عضو هيئة تحرير مجلة الهدف الفلسطينية سابقاً

معد برامج ومذيع في راديو إدفاد في الدانمرك سابقاً

معد برامج سابقاً في تلفزيون كوبنهاغن

نشر مئات المقالات وعشرات الدراسات والأبحاث السياسية والفكرية والثقافية

أصدر أربعة مجموعات شعر:

ثرثرة في كانون/ الدار البيضاء 2008

خلف البياض/ دار جزيرة الورد للنشر، القاهرة 2014

أطياف تراوغ الظمأ /مؤسسة شمس للنشر، القاهرة 2016

امرأة من زعفران /مؤسسة شمس للدراسات، القاهرة 2017

تحت الطبع:

- كتاب الأهداف الاستراتيجية للاختراق الصهيوني للقارة السمراء

- ديوان "أغمضت الغابة عشبها"

فاز بالمركز الأول في مسابقة السلام العالمي عن قصيدة النثر

شارك ضمن 40 شاعر عربي في كتاب أنثولوجيا الشعر العالمي الصادر في الولايات المتحدة في ابريل/نيسان 2018

حاز على عدة جوائز:

جائزة الإبداع الأدبي من مؤسسة الفكر للثقافة والإعلام/ العراق-كردستان

درع السلام الفائز الأول بقصيدة النثر/مؤسسة الفكر للثقافة والإعلام/ العراق- كردستان

وسام الأنتلجنسيا من مؤسسة أنتلجنسيا للثقافة والفكر الحر/ تونس

وسام العطاء الإبداعي مرتين عامي 2015- 2016/ مؤسسة الصدى للإعلام/ الولايات المتحدة

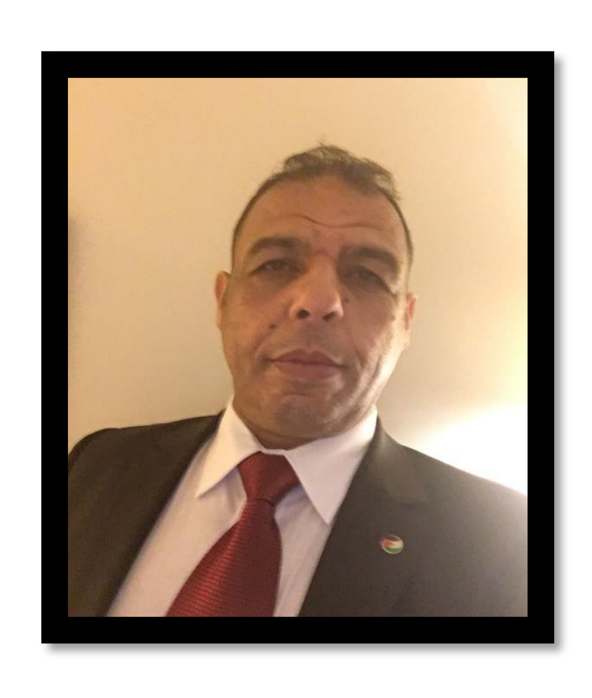
ترجمت بعض أعماله إلى اللغات الإنجليزية والدانمركية والبلغارية

رقم الهاتف: 004526924292

الايميل: alassihassan1@gmail.com

الموقع الشخصي: https://cutt.us/6eaVp

المحتويات



جنائز الغرباء

على بعد طفولة

من باحة البكاء

نعش يسترق الحياة

لكن ...

درب الأراجيح مغلق.

